سنة ١٩١٦

المصريون يختلفون مع عباس بسبب محاولة انشاء جريدة — عيد الجلوس الخديوى — كيف عشت فى السويسرة بعد انقطاع مرتبى من تركيا — التحقيق مع احمد بك صادق وقضية الأوقاف ضدى — حياد الخديو — مخابرات الخديو مع الانجليز ومناوراته ووساطة ملك البلجيك — تسديد النقود الألمانية والحجز على مبلغ يوسف صديق — بين الخديو ورجاله والوطنيين فى السويسرة — العلاقات بين الخديو وحلفائه — القبض على يكن باشا وضبط أوراق الخديو — شؤون مختلفة

المصريون يختلفون مع عباس بسبب محاولة انشاء جريدة :

محاولة انشاء الجريدة : كان رجال الحزب الوطنى الموجودون بأوربا وفى مقدمتهم محمد بك فريد ، وكذلك الطلبة المصريون فى سويسرة ، فكروا فى انشاء جريدة تكون لسان حال للمصريين فى أوربا ، وتدافع عن حقوق مصر ومصالحها ، وعقدوا اجتماعاً فى ١١ ديسمبر سنة ١٩١٥ لهذا الغرض ، وقرروا أن يطلبوا من الخديو مساعدتهم على إنشاء هذه الجريدة ، وسبق أن ذكرت فى مذكرات العام الفائت ، أن الخديو أخذ على فريد اعتقاده أن خلاص مصر ، وحفظ حقوقها يكون بواسطة انشاء جريدة

وفى يوم ٧ يناير سنة ١٩١٦ حضر عندى يحيى الدرديرى افندى ومذكور افندى الطالبان ، ليتفهما منى عما إذا كان قد ورد لى بجنيف أوامر بشأن طلب انشاء الجريدة ، فأخبرتهما بأنى ذاهب إلى لوزان لمقابلة الخديو وأجيبهما بعد رجوعى

وفى ٨ يناير أبلغنى الدكتور سيد كامل ، أن سموه لا يقبل أن ينفق مليما واحداً ، لأن طلب المساعدة كان فى صورة تهديد ؛ وقد حدث فى الجلسة التى عقدت لهذا الغرض أن حسين شيرين بك وضع جنابه ويوسف صديق باشا فى كفة

واحدة حيث قال : « ان الخديو يساعد بمبلغ ، ويوسف صديق يساعد بمبلغ آخر » كما أنه قيل في هذا الاجتماع : « إن النقود متوافرة ، ولكنها تصرف فى غير الطريق الشرعى » تلميحاً إلى ما سمعه الطلبة من أن الخديو اشترى لصاحبته مدام لوزانج عقداً من اللؤلؤ بمائة وخمسين ألف فرنك . وأن الخديو يقول : « ان هؤلاء الشبان (بما فيهم فريد والشمسى) أما إنهم معضدون من الألمان ، أو ، لا ، ففى الحالة الأولى يستغنون عن نقودى ويأخذون من الألمان ؛ وفى الحالة الثانية كان يجب أن يطلبوا منى في أدب وخضوع ، لافى صورة تهديد كما حصل »

وكذلك من الأسباب التى يقولها الخديو عن رفضه المساعدة : أنه إذا نجمت فائدة من الجريدة يكون سموه أسيراً للحزب الوطنى، فيفعلون معه كما فعل الاتحاديون مع السلطان عبدالحميد فى تركيا ؛ وهذا علاوة على أنه لايريد أن يعمل مع الطلبة بل مع الرجال الذين اعتاد العمل معهم

وفى يوم ١٣ يناير قابلت الشمسى بك . فأنبأته برفض الخديو للمساعدة وبالأسباب التى بنى عليها الرفض ، فقال: « إن كلام أفندينا إنما هو لمجرد التخلص ؛ وحتى لو كان الالتماس على حسب ما يطلب لوجد حجة أخرى لعدم الدفع » فقلت: «ان إحساسى غير ذلك ، واننا لو طلبنا بخضوع واحترام لأجاب الطلب » وتقرر أن نجتمع عنده فى الغد للبحث فى الموضوع بحضوره هو والاستاذ فهمى ؛ ولكنى لما توجهت وجدت هناك الدرديرى أفندى ، فاستأت لذلك وعجبت . وقد قال لى الشمسى عند دخولى: « إننى كنت أتكلم مع درديرى أفندى في المسألة » فتحدثت عن الأسباب التى أوجبت رفض الخديو ، فنفى لى ذكر اسم يوسف صديق واستدل على ذلك بأنه لا يعلم عن المشروع شيئاً حتى يقال انه مستعد للمساعدة ، وكذلك نفى التعريض بالخديو في مسألة شراء العقد لصاحبته ، وقال : « ربما قيل هذا خارج الجلسة »

ولما أخبرتهم بأن الخديو لا يريد العمل إلا مع الرجال الذين عملوا معه، لامع الطلبة مع اعتبارهم أعوانه وأولاده ؛ حدثت مشادة بينى وبين الدرديرى ، لأنه أراد أن يفسر كلامى بأن الخديو يحتقر الطلبة ، وهذا مالم أرده ، فاستأت لهذا وهممت بالخروج ، لولا أن هدأنى فهمى والشمسى

وعندئذ تناقشنا فى أن يذهب الشمسى بك لمقابلة الخديو ، نائبا عن الجمعية ليطيب

خاطره وينفي ما علق به من ناحية الطلبة ، فرفض ذلك ، واستحسن انتظار رجوع فريد بك من الآستانة ـ وكان قد سافر اليها ـ ليذهب بنفسه

وهنا قام يحيى الدرديرى وقال : « إذن سأجمع الطلبة وأخبرهم برفض الخديو للمساعدة » فقال الشمسى : « ما رأيك ياباشا ؟ » قلت : « إذا جمعت الجمعية فيشرح لها الاسباب التى ذكرتها ويقول لها : « إن الخديو يقول عن الطلبة انهم أولاده وأعوانه ، ولكنه مستاء من إهانتهم إياه »

وقد خرج الدرديرى غاضبا ، وخرج وراءه الشمسى ؛ ثم عاد فأخبرنى أنه أقنعه أن لا يقدم على شيء قبل أن يطلعه عليه . وهنا عتبت على الشمسى ابقاءه فى موعد حددته وعينت أشخاصه ، فاعتذر بأنه حضر بنفسه ؛ وكنت اعتقد غير ذلك ، وأفهم أن الشمسى أحضره ليسمع منى ما أقوله

وقد خرجت أنا وفهمى فأقنعته بأن يحول دون تشويش الدرديرى ، وإثارته سخط الطلبة فى هذا الوقت العصيب

توسطى بين رجال الحزب الوطنى والخديو : وفى ١٧ يناير استدعيت الدكتور سيد كامل إلى جنيف ، واطلعته على كل ما حدث ، وقلت : « إن الأفضل هو انشاء هذه الجريدة » . فقال : « ان كل سعى يا باشا منك أو منى لدى الخديو لا يجدى ، فيجب حضور فريد أو الشمسى للاعتذار أولا ، والعرض بطريقة محترمة فربما يقبل الخديو » . ثم قال : « وأنا أعمل فى مسألة أخرى وهى انشاء صندوق تعاون لطلبة لوزان بأن يضع كل منهم فرنكا واحداً فى الشهر ، والخديو يدفع مساعدة لهذا الصندوق ومتى وصلنا إلى هذه النقطة ، نلتمس مثل هذا لطلبة جنيف ؛ ومن ثم يمكن انشاء الجريدة دون أن يحتمل الخديو تبعتها ؛ فاذا نجحنا فى ذلك كان خيرا »

وفى يوم ١٨ منه قابلت الشمسى فأخبرنى أنه أقنع الدرديرى بعدم إثارة الطلبة ، وأن ينتظر حتى يعرض التماسا من جديد فى صورة محترمة ، ويزيل ما علق بنفس الخديو .

وقد قال لى الشمسى : « إن طالبا اسمه طاهر قدم من برلين الى جنيف لاستمالة الطلبة المصريين الى فكرة تأليف حزب برياسة الشيخ جاويش فى صالح سعيد حليم وأن رفض الخديو مساعدة الطلبة على اصدار الجريدة ربما مكن لطاهر فى نفوس الطلاب » واتفقنا ء أخبارلى الدكتور سيد كامل لمخاطبة الخديو فى ذلك وكتبت له

وفى يوم ١٩ منه وصل إلى خطاب منه هذا نصه : « وصلنى جوابكم بخصوص مقابلة أخينا على الشمسى بك لسعادتكم ، ورجائه بأن تتوسطوا فى التماس أن يتفضل الجناب العالى فيجيب بالقبول على ملتمسهم ، فاعتذرتم بعدم امكانكم السفر ، وقلتم له : « إن غاية ما يمكنكم عمله هو أن تكتبوا لى، وأنا أعرض على الأعتاب هذا الالتماس بالصفة التى أراها »

« ولو أنى على الدوام أتمنى أن أكون قادرا على أى سعى يعود بالنفع على إخواننا المصريين ، إلا أنى آسف غاية الأسف لأنى فى هذه المناسبة لا أستطيع أن أقوم بالسعى الذى تشيرون اليه بأى حال من الأحوال ، لأن الظروف التى سبقت طلب هذا السعى من سعادتكم مباشرة ، لا تساعدنى مطلقا على عرض أى شىء بخصوص هذا الملتمس ، من تلقاء نفسى ، بل ولا عرض أية رسالة شفهية فى هذا الموضوع ، لذلك أرجو سعادتكم أن تعفونى من هذا العرض ، وفى الوقت نفسه أرجو أن تعتقدوا بأنى أعرض على الأعتاب كتابة يريد أن يعرضها على بك الشمسى مباشرة بما يرغب ، إن شاء أن يفعل ذلك »

فارسلت الخطاب مع الشيخ عبد الحميد ندا ليطلع الأستاذ فهمى ، وعلى بك الشمسى عليه

وقد اطلع عليه الأخير أولا فتغيظ ، وقال: « ان هذا إهانة لى » ثم رجع وقال: « ولكن عدم عرض التماس الطلبة بواسطة الدكتور سيد كامل يعد إهانة لهم وحدهم . وعليه سأنبىء الطلبة أن أفندينا يرفض ملتمسهم ، ويكون شفيق باشا هو المسئول عن النتيجة » . ولما قال له الشيخ عبد الحميد : « إن الباشا مستعد لمحادثتك أنت والأستاذ فهمى » أجاب : وما دخل فهمى فى هذه المسألة ؟ أما أنا فلا أذهب عند الباشا، وإن كان يريد مقابلتى فيحضر عندى

ولما اطلع الأستاذ فهمى على الرسالة قال : « ان ما فيها لا يشتم منه رائحة الأهانة» واستغرب غضب الشمسى . وقد ظل هذا لا يزورنى عدة أيام ؛ وأخيرا حضر عندى ، واتفقنا على أن نجمع كلمتنا لأزالة ما بنفس الخديو ، وإعادة الطلب ، وأرسلت بذلك رسالة الى الدكتور فجاءنى الرد التالى منه :

« أحيط سعادتكم علماً أن رسالتكم وصلتنى ، ولا أخفى عن سعادتكم أننى

دهشت لقبول فهمى أن ينضم إلى على الشمسى ، ويشترك معه فى مسعى لم يشترك فى الاجتماعات الموجبة له ، وخصوصاً فى اجتماع ١١ ديسمبر الماضى ، على أن فهمى رجل مستقل ، وله حرية واسعة ، يقدر استقلاله فى اختيار الطرق التى يجب أن يسلكها ، ولكن دهشتى كانت أعظم لما رأيت أن سعادتكم أيضاً قبلتم الانضمام مع الأول والثانى لعرض الملتمس المعلوم على أعتاب الجناب العالى . ووجه دهشتى راجع إلى ثلاثة أسباب : الأول — أنكم كنتم خارجين عنهم بالأمس ، وأنتم اليوم تقبلون أن تكونوا معهم فى نفس النقطة التى اعتبروكم فيها من الخوارج . الثانى — أنكم كنتم الواسطة فى سماع مطالب فريد بك ومن معه عقب هذا الاجتماع ، وكنتم الواسطة في تبليغهم نطق الجناب العالى فى هذا الموضوع ، ولم يطرأ مايدعو إلى تغيير صفة هذه الوساطة بقبولكم الانضمام اليوم إلى من كنتم واسطة لهم بالأمس . الثالث — هو أن رفض الجناب العالى كان مبنياً على سببين تعلمونهما ، وأظن أنه ما دام فى نفس سموه أثر للاستياء من العرض الأول فلا يسع سعادتكم أن تنضموا إلى من كانوا سبب هذا الاستياء ؛ ولو أن رغبتكم من هذا الانضمام ظاهرة ، وهى حبكم أن يكون المصريون جميعاً يداً واحدة . أنا أحب أيضاً أن يكون المصريون متحدين ، ولكن المسألة ليست مسألة اتحاد المصريين أو افتراقهم ، إنما هى أن الجناب العالى استاء شديد الاستياء من الطريقة التى طلب بها من سموه دفع نقود إلى محمد بك فريد ومن معه ، فانه لم يلاحظ فى هذا الطلب : أولا — الاحترام الواجب لمقام سموه ، حتى أنهم جعلوا يوسف صديق فى مقام الجناب العالى من جهة طلب الاعانة منهما على السواء . ثانياً — إن الطلب جاء فى صيغة تهديد مبنى على واقعة ظهر كذبها وبهتانها . فقبل تجديد السعى للحصول على المال يجب ألا ننسى استياء الجناب العالى ، يجب ألا ننسى ضرورة إزالة ما فى نفس سموه من أثر هذا الاستياء ، وإزالة هذا الأثر لايمكن فى اعتباري الشخصى أن تكون ، مادام على الشمسى ينكر أنه لم تحصل أية إشارة فى اجتماع ١١ ديسمبر تفيد مساواة يوسف صديق بالجناب العالى ، ولا يمكن خصوصاً أن تكون ما دام فريد بك الذى أشاع بين الطلبة هذه الواقعة المكذوبة لم يقل كلمة من الواجب أن يقولها فى هذا الخصوص . أنتم سمعتم أن على الشمسى قال : «إن فريداً أخطأ فى إشاعة هذه الواقعة المكذوبة » ، وسمعتم منه قوله : «إن الدرديرى يأسف لما حصل منه » ، ولعلكم تسمعون منه اقتناعه بأن مساواة يوسف صديق والجناب العالى حصلت فعلا فى الجلسة بشهادة الشيخ عبد الحميد امام

على الشمسى وخلافه ، إنما هل يكفى أنكم تسمعون ذلك ؟ ألا تكون أول خطوة واجبة ـ إن كان الشعور بوقوع هذه الأغلاط حقيقياً ـ أن يكتب مثلا على الشمسى إلى الجناب العالى كتابة صريحة تفيد الاعتذار عن هذه الأغلاط بصفة صريحة والتماس أن يكون سموه راضياً ؟ أظن أن حصول الرضا من الجناب العالى هو الأساس قبل عرض أى شيء على سموه ؛ وأظن أن طلب هذا الرضا لا يمكن أن يكون من قبل سعادتكم ، ولا من قبل فهمى . ولا من قبلى ؛ إنما يكون فقط من قبل فريد وعلى الشمسى اللذين كانا سبب اجتماع ١١ ديسمبر . ومع هذا أعرفكم أن هذا هو رأيى الشخصى ، بدليل أننى استلمت رسالتكم ورددت عليها فى الحال »

وقد أرسلت إليه بالرد يوم ٢٢ يناير وقلت فيه : « إن الذى قلته فى كتاباتك معقول ، فصحيح أن الالتماس كان خالياً من صيغة الاحترام ، وكان يشتم منه رائحة التهديد ، وصحيح أن أفندينا له الحق فى الاستياء ، وصحيح يجب علينا أولا إزالة هذا الاستياء من نفس سموه ، إنما لكونى أمرت بتبليغ الرد على هذا الالتماس فعلى الشمسى رجانى أن أكون واسطة خير في تبليغ ولى النعم أن مسألة يوسف صديق لم تحصل ، وأنه لم يحصل في جلسة الاجتماع القول بأن النقود موجودة ؛ ولكن لا تصرف فى وجهها الشرعى . أما مسألة العقد فالذى قال بها هو فريد ؛ وقد رجانى الشمسى أيضاً أن أسعى في إزالة هذا الاستياء ، والوصول الى تنفيذ المشروع حتى لا يفلت الطلبة من يدنا ؛ فاذا كنت أفضيت اليك بهذا الالتماس لتبليغه فذاك لأننى كنت أنتظر أن يأتينى الرد منك بالصفة التى جاءت فى جوابك الأول ، وعلى أثر وصوله أطلعت الشمسى بك عليه ؛ وقد تميز منه غيظاً واعتبره رفضاً ، وقال : « إنه سيبلغه للطلبة وأننى مسئول عن النتائج » وعلى رأى المثل العامى « ماناب المخلص إلا تقطيع هدومه »

« ليس لك الحق فى دهشتك منى ومن فهمى ، لأننا نحبذ المشروع ، فأنت تعلم رأيى فيه ، ولا بد أنك علمت أيضاً من فهمى في لوازن رغبته في هذا العمل ؛ إنما لا نريد أن نشترك فى التماس الطلبة لأن فهمى قال عند وجوده فى الجلسة التى جمعتنى بعلى الشمسى والدرديرى : « إنه لا يضم صوته إلى صوت على بك فى عمل التماس جديد ، لأنه لم يشهد الاجتماع ولم يكن بين المندوبين » إنما الذى نرغب فيه أن يساعد أفندينا فى إنشاء الصحيفة بأية صفة كانت ، إما بأن تتولاه جمعية مصر بلوزان ، أو الدكتور

سيد كامل ومحمد يكن (وكان قد حضر من الاستانة والتحق بالخديو فى السويسرة) أو أجنبى بمساعدة المصريين ، حتى لا يقال : «إن أفندينا لم يعمل عملا فى صالح مصر » هذا هو رأيى . وليكن فى علمك أننى أعتبر المخاطبة انتهت . فلا أقابل الشمسى ، ولا أقول له شيئاً في هذا الصدد

وفى يوم ٢٣ منه زارنى الأستاذ فهمى فقرأت عليه رسالة الدكتور سيد كامل فقال : « إن الذى أفهمه من ذلك أنهم (يعنى الخديو) لا يرغبون فى الانفاق على جريدة ولهذا لا جدوى من تكرار الطلب بعد الآن » فأخبرته بملخص إجابتى على هذه الرسالة ؛ ومنها يتضح أننى قطعت الكلام في هذا الموضوع .

عيد الجلوس الخديوى : فى يوم ٨ يناير سافرت إلى لوزان لحضور الاحتفال الذى عزمت الجمعية المصرية بها على إقامته لمناسبة عيد الجلوس الخديوى ؛ ولقيت فى القطار الأستاذ فهمى ، والدكتور زاهر ، والشيخ عبدالحميد ندا ، وتوجهنا إلى فندق لوزان بالاس فاستقبلنا هناك منصور افندى القاضى رئيس الجمعية

وكان المدعوون نحو الثلاثين من مصريين وأتراك وعجم ، وبعض رؤساء جمعيات الطلبة الأجانب فى لوزان ، وكان من بينهم أربع سيدات أفرنجيات ؛ وحضر كذلك جلال الدين باشا ، ونشأت باشا ، وثريا بك . والأخيران من الألبان المنتمين للخديو ، ومكاتب ألمانى اسمه موسيو فروم

وقد جلسنا على موائد صغيرة أربعة أربعة ، وتناولنا الشاى ، وبعد ذلك عزفت الموسيقى بالسلام الخديوى فاستقبلناه وقوفاً ؛ ثم عزفت بأدوار شرقية أخرى تخللها خطاب رئيس الجمعية باللغة الفرنسية ، وخلاصته : عدم الاعتراف بالانقلاب الذى حدث فى مصر ، وأن السلطان حسين كامل يعتبر غاصباً لمركزه ، وأن الأمة المصرية تنتظر بفروغ صبر طرد الأنجليز من مصر على يد الجيش العثمانى ، ورجوع الخديو عباس حلمى الثانى إلى عرش مصر المستقلة تحت سيادة الدولة .

كيف عشت فى السويسرة بعد انقطاع مرتبى من تركيا : سبق أن ذكرت فى سنة ١٩١٥ ، ما تم فى تقرير الدولة مرتبات لرجال الحاشية المقيمين مع الخديو بعد انقطاع مرتباتهم من مصر

وفي يوم ١٠ يناير سنة ١٩١٦ وردت لى رسالة من توفيق بك فهمى الياور

بالاستانة ينبئني فيها أن الأتراك قرروا قطع نصف مرتبي . وأنه بذل المساعي كتابة وكلاماً لصرفه لى كاملا فلم يفلح ؛ وطلب منى أن أخاطب طلعت باشا فى هذه المسألة ، لأنه الرجل الوحيد الذى تجدى مخاطبته فى الموضوع.

وقد صدر قرار عام يوم ٢٤ يناير بعودة جميع المصريين المقيمين فى أوربا إلى الاستانة وإلا قطعت المرتبات التى تدفع لهم من خزانة الدولة ، وكان الغرض من ذلك اجبارهم على العودة ، والانفضاض من حول عباس ؛ وبذلك يضطر هو إلى العودة ؛ وكنت إذ ذاك لا أستطيع الرجوع لأن وجودى فى بلد محايد ضرورى كى تتسنى لى مراسلة المحامى عنى في قضية الأوقاف ضدى (وسيأتى ذكرها تحت عنوان خاص)

وفي يوم ٢٨ يناير سافرت إلى برن وقابلت سفير الدولة بها ، وهو فؤاد بك سليم المصرى ، الذى عين حديثاً ؛ وكان من تلاميذى فى المدرسة العلية ، وأطلعته على المسألة ، ورجوته أن يطلب لى مهلة شهر أو شهرين حتى تنتهى القضية ؛ فرد قائلا : « ولماذا ياباشا تكلف نفسك الحضور إلى هنا ، وكان يمكنك مخاطبتى تليفونياً أو بالبريد ؟ » فقلت : « انى جئت لأزورك أولا ثم أعرض عليك هذا الموضوع » . فشكرنى ووعد بارسال برقية بطلبى وودعنى حتى السلم ؛ وقال : انه إنما يعاملنى المعاملة الجدير بسفراء الدولة أن يعاملوا بها رجال الخديو . مما دلنى على أنه غير منضو إلى لواء الصدر فى مناوأة عباس



فؤاد سليم بك

وفى يوم ٣٠ منه سافر عديلى مظهر بك قنصل جنرال الدولة فى فارس سابقاً إلى الاستانة ، فسلمته خطاباً إلى طلعت باشا ألتمس منه صرف مرتبي كاملا مثل زملائى ، لأنى أعتبر نفسى مديراً للأوقاف الخديوية

وفى يوم ٢٧ فبراير وردت لى رسالة من عديلى بأنه خاطب مستشار الخارجية بشأن إعطائى مهلة شهرين، فوعده أن يخاطب الناظر لعرض المسألة على مجلس النظار .

وفي يوم ٢٨ أبلغنى أن المجلس لم يوافق على طلبي، وأن الرفض بلغ إلى فؤاد بك سليم ، وأن الأصوب هو التعجيل بالعودة إلى الاستانة

فرددت عليه يوم ٣ مارس قائلا : « إن السفير فى برن لم يخبرنى بمسألة رفض طلبي ، وأن قرار العودة ربما كان لا يشملنى وإلا لأبلغنى ذلك »

هـــذا وقد اتفق معى ابراهيم أدهم بك أحـد الياوران في جبوقلى أن يدفع لى مبـلغ ثلاثين جنيهاًشهرياً ؛ وأن تستردها عائلته فى مصر من ما لى بها. وكذلك توفيـق بك فهمى



ابراهيم أدهم بك

وفى يوم ٦ مـارس قابـلت الدكتـور سيـد كامل فى لوزان ، فسمعت منه أن الخديو يأخذ على مقابلتى لسفير الدولة فى برن مع أننى أكبر منه مقاماً ، ثم قال : « وأنا أعتقد أن الخديو لا يتأخر عن مساعدتك مالياً إذا قطعت الدولة مرتبك » فقلت : «إن القليل يكفينى مع عائلتى وأنا أقنع بألف فرنك فى الشهر مع مبلغ الستين جنيهاً

الذى استبدله من ابرهيم بك أدهم وتوفيق بك فهمى ، وأنا لا أطلب من سموه شيئاً إلا إذا تأكدت من قطع مرتبى »

وفى يوم ١٤ مارس حضر نور الدين افندى من الاستانة وعلمت منه أن المرتبات ستدفع لمدة شهر آخر ، وأنهم يقولون فى الاستانة : « مابالنا ندفع لرجال الخديو ، مع أننا لانعلم هل سموه محب أوعدو لنا ؟ »

وذكر لى أن سبب قطع نصف مرتبى ، أن عارف باشا قدم بياناً بأسماء حاشية الخديو ، وأمام اسمى كلمة (متقاعد) وأنه من أجل ذلك يصعب إعادة صرفه كاملا

وفى يوم ١٢ ابريل وردت إلى برقية من توفيق بك فى الاستانة بأن الأتراك قطعوا مرتبى لأننى لم أرجع ؛ فاستأت لذلك القرار بعد ماعلموا عذرى فى البقاء بالسويسرة . . .

وقد أرسلت إلى الخديو هذه البرقية ، وقلت له : « إننى ألتجىء إلى سموكم بعد انقطاع مرتبى » . فقرر لى مبلغ ألف فرنك فى الشهر .

وفى يوم ٣ يوليو وردت إلى رسالة من يكن باشا يقول فيها : « حسب ماصدر به النطق الكريم مرسل لأخوتكم طى هذا مبلغ وقدره خمسمائة فرنك » فأخذت المبلغ وأنا فى دهشة لاقتطاع نصف المرتب الذى قرره لى الخديو ، وأخذت أتساءل عن السر فى هذه المعاملة .

وفى يوم ٦ منه قابلت الدكتور سيد كامل ، فأطلعته على هذه الرسالة ، فتأثر جداً وقال : « يخيل إلى أن أقول للخديو : أنا لست فى حاجة إلى مساعدتك إياى وأتركه » فهونت عليه الأمر ونصحت له بالصبر

وقد استطعت أن أعيش مع حرمى وأولادى بمبلغ خمسمائة الفرنك وستين الجنيه المستبدلة مضافاً إلى ذلك مبلغ خمسين جنيهاً سمحت السلطة بترتيبها لحرمى من إيرادها فى مصر

التحقيق مع احمد بك صادق وقضية الاوقاف ضدى : فى يوم ٢٨ فبراير من العام الماضى (ونحن بالنمسا) علمنا أن احمد بك صادق حضر إلى ايطاليا من مصر بعد أن قبض عليه ، وأطلق سراحه ؛ وقد رغب الخديو أن أسافر للاحاطة بما لديه من المعلومات ، فسافرت إلى روما ، وقابلته ، وذكر لى أنه حبس نحو ثلاثة أشهر

قاسى فيها العذاب ؛ خصوصاً أيام حبسه بسجن الاستئناف فى غرفة صغيرة فيها فتحة بالسقف للأضاءة ، وأرضها أسفلت ، وقداستحضرسريراً بالأجرة وكوز ماء للشرب وغسل يديه ووجهه .

وكان سبب حبسه زيارة شيخ العرب حمد أبو سلطان له فى منزله ، وكان الخديو كلف صادق بأن يرسله للأستانة ؛ وحقق معه أولا هارفى باشا ثم فليبيدس ؛ وكانا يطلبان منه أن يعرفهما بمعلوماته عن الخديو ، فلم يخبرهما بشىء .

ولما أرادت السلطة العسكرية إخلاء سبيله ، طلبت النيابة إبقاءه محبوساً على ذمة التحقيق فى الأوقاف .

وكان طلاماس بك ومعه انجليزى آخر من المالية قد فتشا حسابات الأوقاف ، وقدم ابرهيم يوسف افندى رئيس الحسابات بها كشفين : أحدهما بالمبالغ التى صرفها أحمد بك صادق لنفسه لتوصيلها إلى محل لزومها ، والثانى بالمبالغ التى صرفتها أنا (شفيق) بالأمر ، وابتدأ التحقيق معه فى الكشف الأول ، وكان يلوح له أن الغرض هو الوصول إلى معرفة ماإذا كانت هذه المبالغ قد صرفها لنفسه ، أولغيره ومن هم ، وفى أى شىء ؟

فلما أبرز المستندات على أن البعض تسلمه أشخاص ، والآخر تسلمه الخديو لصرفه بمعرفته ، فى إحسانات أو على المهاجرين بدون إعطاء إيصالات من سموه ، سئل عن هذا الأهمال ، فأجاب بأن العادة من وقت إنشاء الأوقاف الخديوية جرت بهذا ؛ ووجد المحققون فعلا أنه فى إحدى سنوات إدارة خيرى باشا صرف لنفسه ٤٠ ألف جنيه . . .

وقد كان فى إحدى جلسات التحقيق ابراهيم بك نصار المحسوب على السلطان حسين ، لحرض احمد بك قائلا : « حط كله عليه » يعنى الخديو . وقبل أن يبرز احمد بك المستندات ، قال للمحققين : «إن أوجه صرف هذه المبالغ معلومة لرئيس الحسابات لأنه كان يأخذ مذكرة عن كل مبلغ بناء على اشارة شفيق باشا» ، ولكن ابرهيم افندى يوسف أنكر حالفاً بالطلاق ، غير أنه من حسن حظ احمد بك أن رئيس النيابة المحقق وهو « محمد زكى الابراشى » (باشا) فى أثناء تفتيش منزله عثر بين أوراقه على مذكرة بهذه المبالغ ؛ وبعضها بخط ابراهيم افندى المذكور ؛ فثبت للمحققين أن رئيس الحسابات لم يقل الحقيقة

ويقول احمد بك :«أن طلاماس في جانبي (شفيق) وأنه يعرف أنني مدقق» . وقد كنت أود لو عرفت ما حواه كشف المبالغ المدعى بها على لأجيب عنه . وأنا فى أوروبا ، فان المبلغ كله هو ١٨ ألف جنيـه . وقد دل أحمد بك على أوجه صرف أغلبه ، والبعض الآخر دفعته بالأمر من الفوائد التى كانت الأوقاف تتقاضاها من بنك دى روما ، والبنك الشرقى الألمانى ، فى مطلوب البنك الأهلى واللاند بنك عن ديون المرحوم الشيخ على يوسف بضمانتى

وفى يوم ٢٢ يناير سنة ١٩١٦ وردت الى جريدة الأهرام الصادرة فى يوم ٦ منه ، فقرأت فيها أن الاوقاف السلطانية (الاوقاف الخاصة الخديوية سابقاً) رفعت دعوى مدنية أمام المحكمة المختلطة على الدائرة الخاصة لسمو الخديو السابق فى شخص الحارس القضائى عليها وهو موسيو جانيه مدير البنك العقارى المصرى ، وضد أحمد شفيق باشا مدير تلك المصلحة السابق ، طالبة الحكم عليهما متضامنين بأن يدفعا مبلغ ٨١٠٦ جنيهات و ٩٦١ مليما قيمة ما سحباه من خزانة تلك المصلحة مدة إدارتهما لها . من ذلك مبلغ ٧٥٨١ جنيها و ٩٦١ مليما سحبت بمقتضى اذون صرف موقع عليها من شفيق باشا لغاية ٢٠ أغسطس سنة ١٩١٤ يوم سفره الى الآستانة ومن ذلك مبلغ ٥٠٠ جنيها سحبها الباشا من بنك دى روما في ١٥ ديسمبر سنة ١٩١٣ وهو قيمة فوائد أموال الاوقاف الخصوصية المودعة في ذلك البنك .

وفي يوم ٢٧ منه قرأت في الأهرام أن خيري باشا وحسين محرم باشا كانا متهمين جنائيا : الأول عن مبالغ صرفت من الاوقاف الخديوية . والثانى عن مبالغ من دائرة سيف الدين التى يديرها . وقد حكم ببراءة الاثنين

وفى يوم ١١ ابريل وردت لى رسالة من المحامى عنى محمد بك يوسف ، بأن المنظور أن تحكم المحكمة فى صالحى . وأن هناك فرقاً واضحاً بين قضيتي المدنية ، وقضيتى خيرى وحسين محرم وهما جنحتان .

وسيرى القارىء فيما بعد نتيجة هذه القضية

حياد الخديو : كان الخديو يتخوف كثيرا من مصادرة الانجليز لأملاكه بمصر ، وكان هذا من أهم الأسباب التى دعته الى الخروج من النمسا إلى سويسرة ، ليكون فى بلد محايد . وبعد ما أقام فى جنيف انتقل إلى لوكارنو ، وامتنع عن مقابلة رجال الحزب الوطنى ، وعن مساعدتهم فى إنشاء جريدة كما سبق

وفى يوم ١٢ فبراير نشر الشيخ «على الغاياتى» فى صحيفة «لاتريبون» حديثاً عزاه إلى أحد رجال الحاشية، خلاصته: أن الخديو ترك الاشتغال بالشئون السياسية واعتكف فى لوكارنو بعيداً من رسل أنور باشا، والامبراطور غليوم، ورجال الحزب الوطنى

وفي يوم ١٦ منه اجتمعت فى منزل لبيب معه هو والشمسى وفهمى، وتحادثنا فيما كتبه الغاياتى واتفقنا على أنه ضار بالخديو، وبنا نحن المشتغلين معه؛ وقررنا إرسال خطاب إلى سموه، نلتمس فيه تكذيب هذا الحديث المزعوم

وكنت أعتقد أن هذه الكتابة موعز بها من الخديو نفسه، وقد صرحت بذلك للدكتور سيد كامل بيني وبينه، لأننى كنت قد عرفت أن الخديو يسعى فى الاتفاق مع الانجليز (كما سيأتى فى فصل خاص)

وفي يوم ١٧ حادثنى الدكتور تليفونياً؛ وأخبرنى أنه عرض رسالتنا على الخديو فتكدر، لأن الاخوان بمجرد أن يسمعوا أو يقرأوا شيئاً يعتقدون صحته، ويظنون أنه مارق؛ مع أن سموه بعيد عن مراكز القيل والقال؛ ووجه اللوم إلى الدكتور لأنه عارض من قبل فى استمالة الغاياتى قائلا: «أنه كم مهمل وأنه جاسوس» وها نحن نراه يشتغل ويتحرك. فلماذا لا يطلبه الاخوان، ويسألونه عن الشخص الذى حركه ويكذبونه ويؤنبونه، وهم رجال لهم قيمة وهو ماتعلمون؟ وإن سموه يقول: «طبعاً إن شفيقاً لم يحدثه وجلال الدين ويكن وسيد كامل والشيخ محمد عثمان والبشرى لم يقابلوه؛ وهؤلاء هم الحاشية؛ فكيف ينسب الغاياتى لأحدهم هذا الحديث؟» وسموه يأسف لأن الاخوان لا يشتغلون ولا يعملون شيئاً، حتى لاستمالة الغاياتى.

فقلت له «إن الاخوان لا يريدون أن يعملوا شيئاً قبل أن يعرضوا الأمر على الجناب العالى؛ ولهذا طلبوا منى الكتابة إلى سموه» وما دام يقول بأن أحداً من حاشيته لم يتحادث مع الغاياتى فيمكننا أن نكذب الخبر». قال: «افندينا لم يأمرنى أن أقول لك يا باشا أن تكذب الخبر، إنما قال لى ما سمعته منى» فوعدته بأن أبلغ الاخوان بما عرفته منه (إنما فهمت من فحوى كلامه إن سموه لا يريد أن أكذب مقال الغاياتى، وإلا لأمر صراحة بأن أرسل التكذيب منى)

وفى يوم ١٩ منه قابلت الاخوان الثلاثة، وأخبرتهم بما سمعته من الدكتور سيد كامل، فرأوا أن التكذيب واجب، إما من الخديو أو أحد رجال الحاشية،

ولم يوافقوا على فكرة استحضار الغاياتى لتأنيبه ، ولا لاستمالته ، لعدم ثقتهم بأخلاقه ، وعدم اعترافهم بأهميته

وظهر من حديثهم أنهم يعتقدون أنه مأجور من الخديو نفسه ليكتب ما كتب ، بقصد التقرب للانجليز ؛ وأخيراً اتفقوا على أن أكتب إلى الدكتور سيد كامل بأنهم إنما طلبوا التكذيب لأن الغاياتى يعزو هذا الحديث إلى أحد رجال الحاشية ، وأن التكذيب لا يكون إلا من أحدهم

وفى المساء حضر عندى عبد الله البشرى ليعرف ما تم بينى وبينهم ؛ فأخبرته به وسلمته الرسالة التى كتبناها ، فلم يرد لنا رد بالتكذيب

وفى يوم ٦ مارس دعانا الخديو إلى مقابلته فى لوزان ، وكأنه أراد بذلك أن ينفى ما علق بأذهاننا ، من أنه قرر الابتعاد عن رجال الحزب الوطنى ، ويقنعنا بكذب ما ادعاه الغاياتى !

مخابرات الخديو مع الانجليز ومناوراته ووساطة ملك البلجيك

سفير ألمانيا على علم بالمخابرات : زرت سفير ألمانيا فى يوم ٢٤ يناير فوجدت عنده معلومات فحواها أن الخديو يسعى للمخابرة مع الانجليز ولم أكن أعلم شيئاً عن ذلك . ولكن فى يوم ٣٠ منه ، قابلت أغاطون بك الأرمنى وهو أحد كبار المزارعين بمصر ومن المتصلين بالخديو ؛ ودار الحديث بيننا عن الشؤون الحاضرة فعلمت منه أن سموه كان قد كلف باغوص نوبار باشا أن يسعى لايجاد التفاهم بين سموه وبين الانجليز ، وأن باغوص لم يقم بذلك نظراً لوجود علاقة بينه وبين السلطان حسين ، ويخشى أن يتهم بأنه يدس له الدسائس ، وأن الخديو مستاء منه من أجل ذلك

وأبدى أغاطون بك رأيه لى ، بأن الأصوب هو اطلاع السلطان حسين على الأمر قبل قيام باغوص بأى عمل ، وعظمته لا يكره سعياً من هذا النوع ، وأن الواجب هو أن يقيم الخديو كما هو الآن فى بلد محايد ، ويمتنع عن الاختلاط برجال الحزب الوطنى حتى تنتهى الحرب . وبعد ذلك يفاتح الانجليز فيما يريد . أما الآن فهم مشغولون بالحرب عن كل شىء آخر

ولما سمعت هذا الكلام تألمت فى نفسى لما علمت بمساعى الخديو ، وفهمت

لماذا خرج للسويسرة ، ولماذا أبى أن يعاون الطلبة ؛ وابتعد عن فريد والشمسى وسواهما ، وأقام فى لوكارنو بعيداً عنهم ؛ ولم يكذب ما كتبه الغاياتى من أنه يقيم على الحياد بعيداً عن رسل الألمان ورسل أنور باشا

وكذلك لم أستبعد أن يكون حبيب لطف الله الذى قابل الخديو فى جنيف ، قد عاد إلى مصر لأجل هذا الغرض ، كما سمعت ذلك من قنصل ألمانيا

وقد قابلت على الشمسى يوم ٣١ منه ، فأخبرته بما فهمته من حديث أغاطون بك فسأل : وما غرض الخديو من ذلك ؟ فأجبته : أنه نصح له باتباع هذه الطريقة . فقال : « لا بأس فهذا ربما كان أفضل فى مثل هذه الظروف المضطربة »

عباس يحدثنى عن مساعيه الخفية : وفى يوم ٢٤ أبريل خلوت بالخديو ففتح لى قلبه ، وحدثنى عن مساعيه الخفية فقال : « نحن يا شفيق اشتغلنا من شهر يناير الماضى فانه لما حضر حبيب بك لطف الله عرض على من قبل المؤتمر العربى في بلاد سوريا وغيرها أن أكون رئيساً لها ، واستحضر منها بعض الرجال منهم الضابط والتاجر والعين ؛ وقصدوا سفير انكلترا فى برن ، فلما سمع أنهم يطلبون الخديو رئيساً انزعج ، وعلم أن نفوذى بين العرب قوى على الرغم من خلعى ، فتقرر ذهاب هذا الوفد إلى مصر لمفاوضة رجال الانكليز فيها ؟ فسافر ، ولكن يظهر أنه لم يرق فى نظر هؤلاء عمل شيء الآن ، واكتفوا بأخذ معلومات الوفد عن حالة سوريا الحقيقية وقد تمكن حبيب لطف الله من الخروج



حبيب بك لطف الله

والسفر (لأن انجليز مصر فضلوا أن يتكلم في مشروع الوفد مع حكومة لوندره) ولكونه يعرف ملك اسبانيا فها هو ذا الآن معه فى نزهة ؛ وقد أرسل إلى بواسطة نظارة الخارجية الاسبانية خطاباً على يد السفير فى برن ، فكتبت أطلب منه الحضور إلى هنا ، فوعد ولم يف فعلمت أنه يصعب عليه ذلك » وقد أظهرت لسموه استحسانى

لما قاله، فاستمر قائلا : « ولما راجعنا سفير انجلترا فى برن للوصول إلى حل مرض يناسب مركزى، طلب أن أنزل كتابة عن عرش مصر بين يديه ، كأنه يريد أن يضع السكين على رقبتى من الآن ؛ فرفضت ، لا لأننى أطمع فى رجوعى إلى عرشى ولو كان النصر حليف الألمان والأتراك ، لأننى لا آمن لهم . أما إذا كان النصر حليف الانجليز فلا أقبل الحماية ، لأنى حكمت ثلاثاً وعشرين سنة بدونها فلا أطأطىء رأسى لها ؛ ولكنى أحفظ هذا العرش لابنى ، فانه لم يتقيد إلى الآن بأى (régime) نظام ، فاذا تمكنت من ذلك ، وعرض عليه العرش فهو وشانه فى قبوله أو رفضه

ـ وساطة ملك البلجيك لحفظ حقوقه المادية : « وقد فكرت فى وساطة محب للمتحالفين ، وهو ملك البلجيك على يد سفير بلجيكا سابقاً فى الاستانة ؛ وكنت قابلته ؛ فأرسلت إلى الملك أقول: « اننى أردت أن أسوى حسابى مع انجلترا ، ولكنهم يريدون وضع السكين على عنقى » وطلبت منه أن يساعدنى لدى الانجليز ، ولما برح سفير بلجيكا إلى الهافر لم يجد ناظر الخارجية ، ثم قابله فى باريس ، ولكنه خشى أن يكون فى الخطاب شىء يسوء الانجليز ، فلم يرد أن يقدمه قبل التحقق مما فيه ؛ فأرسلت له مذكرة تفصيلية عنه، حتى يعلم الا شىء فيه يستوجب الملاحظة ؛ وهأنذا أنتظر أن يأتى الرد »

وقد فهمت أن اهتمام الانجليز بمسألة عرش سوريا، وتركهم حبيب بك لطف الله يسافر حراً ، ويتحدث فى هذا الموضوع الخطير ، كان مناورة منهم ليطمعوا الخديو فى عرش سوريه، حتى ينالوا غرضاً آخر كانوا يبحثون وراءه ، وهو حمله على التنازل عن عرش مصر .

وقد قلت لسموه : « إنه يحسن ألا يفكر فى أمر التنازل لأنه السلاح الوحيد الذى يملكه الآن فاذا أخذه الانجليز منه لم يعودوا يهتمون به وكذلك يخسر عطف الألمان وحلفائهم ، ولا يعود لمسألته أهمية عندهم حين يصبح فرداً من الأفراد » .

فوافق على ذلك وقال : « لقد أخبرتهم أنى لا أتنازل إلا إذا ضمنت مركزاً سياسيا (يعنى عرش البلاد العربية) وإننى هددتهم باستخدام السلاح الدينى » فقلت : لقد وضعت البرغوث فى آذانهم » !

شروط الانجليز : وفى يوم ١٠ مايو أرسل موسيو بارودى مراقب البعثة

المصرية فى سويسرة بأن جهة غير رسمية طلبت منه العمل للتوفيق بين مصلحة الخديو ومصلحة انجلترا ، فأرسلنى سموه لمحادثته .

ولما قابلته أبدى لى أن الوقت مناسب الآن للمخابرات قبل انكسار الألمان، لأنهم إذا انكسروا فى «إيفردون» كما هو المنتظر ، فان الحلفاء لايهتمون بعدها بالخديو

ولما سألته : ما الذى يحدث الآن لو أن سموه لم يتقرب للحلفاء ؟

فأجابنى بأنه من المنتظر فى هذه الحالة مصادرة أملاك الخديو وأمواله ، بخلاف ما إذا اتفق معهم فانه يأمن عليها ، وتخصص له مرتبات سنوية ؛ وإذا أصاب أملاكه في تركية والطليان ضرر فان انجلترا تعوضه عنها .

فسألته : هل يعتقد بنجاح هذا المسعى ؟ فأجاب بالايجاب .

فسألته عن الجهة التى كلفته بالمخابرة ، فراوغ وأخيراً قال : « إنه يعمل بصفة شخصية خدمة للخديو ، لأنه مذ كان موظفاً فى مصر كان يعطف عليه »

فأخبرته أن مساعى من هذا النوع فشلت ، لأن السفير الانجليزى فى برن طلب من الخديو أن يتنازل عن عرشه كتابة .

فأجابنى : إن هذا السفير لايعرف الذوق والمجاملات السياسية فلا عجب إذا فشلت المساعى .

فسألته عن كيفية فتح المخابرات ؟

فقال : «أن يرسل السفير للجناب الخديوى يقول له . « إنه علم أن سموه حضر الى بلد محايد ليتخابر مع حكومة انجلترا ، وأنه يقبل الاعتراف بالانقلاب ، وبسلطة السلطان حسين » فيرد الخديو بأنه قابل لما جاء فى الكتابة المذكورة . وطبعا تبقى هذه المخابرة الكتابية سرية لايطلع عليها أحد »

فاعترضت على تبادل المخابرات كتابة من الآن ، وسألته : لماذا لايكون ذلك بعد الحرب ؟ قال : « أخشى أن يفوت وقتها أما الآن فالفرصة مناسبة »

وقد رويت لبكن حديثى مع بارودى فاستعاده ثانية ، وسألنى عن رأيى فيما إذا كان مكلفاً من قبل السفارة بهذه المخابرة ، فقلت : « لا أظن ، وإنما يريد أن يتوسط ليحرز جائزة من الانكليز ، ويكبر فى عيونهم فينال تقدما ، وإنهم ليقبلون كل شىء يعمل بأية واسطة مادام فى صالحهم ؛ والذى يقوله بارودى هو ولا شك في صالحهم لأنه عند الصلح يجرى ذكر مصر ، فيبرز الانكليز اعتراف الخديو بالانقلاب » قال :

« أما التنازل فانهم لايرغبون أن يكون صريحاً فى الكتابة التى يعطيها أفندينا ، لأن الأتراك لايعترفون بتنازله لأية دولة إلا للدولة العلية صاحبة الشأن » فأمنت على قوله ، ولفت نظره لمسألة هامة ، وهى أن لايحصل كلام بين الخديو وبارودى مباشرة بل يكون بالواسطة ، حتى يتسنى لسموه إذا اقتضى الأمر ذلك ، أن لايعترف بما حصل ويبعد عنه الواسطة ، وقلت له : « إننى لاأرى الوقت مناسباً لطرق الموضوع لأننا غيرعارفين بماسيأتى به الغد ، وأن الخديو ببقائه على الحياد كما هو الآن يمسك العصا من طرفيها ؛ وأن مايقوله بارودى من إعطاء مخصصات لسموه ، وتعيين البرنس عبدالمنعم ولياً للعهد يمكن أن يناله بعد الصلح . أما إذا امتدت الحرب لمصر ، وأتيح للأتراك والألمانيين الدخول فى أرضها لما بعد القتال — ولو بقى الانكليز فى جهات أخرى منها — فانى أرى أن يرجع الخديو حينئذ لعرشه حتى يعلم العالم الاسلامى أن الخلافة تمكنت من قهر أعدائها ؛ وارجعت الخديو لعرشه بعد أن خلعه الانكليز وإنما فى هذه الحالة أظن أن الأتراك يكيدون له فيجبر على أن يتنازل لابنه »

الأتراك يحاولون استمالة عباس اليهم : وفى يوم ١٥ نوفمبر كنت عند الخديو مع عبدالحميد شديد ، فقال: « إن فؤاد بك سليم زارنى يوم السبت الماضى ، ويزعم أن الانجليز هم المدبرون لما أصاب يكن باشا (وسيأتى تحت عنوان خاص) وغرضهم هو الايقاع بى ، وأن أتضايق من حالتى ، وأجيبهم إلى ما يطلبون وهو التنازل عن الخديوية ويعلمون أنهم لو حصلوا على ذلك تعزز مركزهم فى مصر لأنه ضعيف الآن . وقد رددت لفؤاد بك سليم زيارته أول أمس ، ولما كنا منفردين قال لى : « إن الانجليز يريدون أن يحصلوا من الجناب العالى على هذا التنازل ؛ ويعدونكم أن يضمنوا لكم أملاككم ويعطوكم مخصصات سنوية ، وإذا لم تذعنوا لنصيحتهم جردوكم من أملاككم . وهبهم فعلوا ذلك فالدولة العلية تعامل الرعايا الانكليز عندها بنفس هذه المعاملة ، فتجردهم من أملاكهم وتعوض سموكم منها ، وأرى أن افندينا يصلح سياسته مع الألمان ، فيسهل بعد ذلك كل أمر » . قال سموه : « فأجبته شاكراً له حسن مساعيه لدى الحكومة السويسرية حتى وصل هو وزميلاه سفيرا ألمانيا والنمسا إلى الاعتراف بمركزى الرسمى ، وقلت له : « اننى تأكدت من هذه المساعى بقاء المودة التى كنا عليها فى الصغر » وقد قال لى : انه لما ندب لسفارة سويسرا ، ولقى خليل بك ناظر خارجية الدولة العلية كلفه هذا أنه إذا قابلنى يعلمنى أن مقامى محفوظ ، وأن سياسة الدولة لم

تتغير من ناحيتى ، وأنه يستوى عندها أن أقيم فى سويسرا ، أو أرجع إلى الاستانة ، وإذا عدت إليها فانى لا أجد غير الحفاوة اللائقة بى » . ولم يدخل الخديو فى مناقشة مع فؤاد سليم فيما قاله ؛ ولكنه فهم أهمية المتحادثين فى كلاران وفى برن وقال لنا : « ان السفير يقول لى تلميحاً أن أترك المساعى التى أبذلها عند الانكليز لضمانة ملاكى والحصول على مرتبات سنوية ؛ ولعله هو وسفير ألمانيا وسفير النمسا عالمون بهذه المساعى ، ويخافون أن تتوج بالنجاح ، وأن أتنازل للانجليز عن الأريكة ، فيقوى مركزهم ؛ ويضعف مركز الدولة العلية ولهذا يعدوننى بالتعويض والمخصصات » قلت : « وأنا أميل إلى هذا الحل وأقترح أن يكون التعويض من جفالك الدولة الحرة وهى وشأنها فى أملاك الانجليز » وقد أظهر عباس رغبته فى أن تكون المخصصات ٤٠ ألف جنيه مثل المرتب الذى أعطى لاسماعيل باشا عند تنازله عن أريكة مصر . قلت : « وربما يعطى لأفندينا جفلك آخر فى مقابلة هذه المخصصات »

قال « وبما انك ياشفيق تعرف فؤاد سليم ، فانى مشخصك إليه لأخذ التفصيلات عن اقتراحه ، ولمعرفة ما إذا كان مذ تكلم به مأذوناً من حكومته ، وباتفاق بينها وبين ألمانيا والنمسا ، أو غير ذلك . وبعد المناقشة فى : هل الأصوب أن تكون زيارتى رسمية أو شخصية ، اتفق الرأى على أن تكون رسمية ؛ وأن أسافر غداً إلى برن لهذه الغاية .

وفى المساء جاءنى منه أمر بقيامى فى قطار الساعة العاشرة صباحاً ، وأنه سيلاقينى فى هذا القطار ؛ وقد أخبرنى عند تلاقينا أنه قابل أمس مساء ملحمة باشا ، فعلم منه أن البلجيكى الذى عهد إليه سموه أن يعمل المساعى لدى ملك البلجيك ليتوسط لدى الحكومة الانجليزية ، أنبأه أنه سيسافر غداً إلى باريس لهذه الغاية ؛ وأنه قابل رامبولد سفير انجلترا فى برن ، وسمعه : « يقول إن العمل المختص بالخديو سائر سيراً حسناً ، ولكن يخشى أن يعرقله سموه بأفعاله » قال الخديو : « وحيث أن الأمر كذلك ، فلا يلزم ياشفيق أن تتعمق فى التورط مع الأتراك ، بل تجيب فؤاد سليم عن كل ما تسمعه منه انك ستعرضه على » (ومن ذلك علمت أن الخديو يأمل أن يسوى مسألته مع الانجليز رأساً وأنه يفضل ذلك) قال سموه : « وانى ذاهب إلى برن لمقابلة البلجيكى والتكلم معه قبل سفره ، وهذا فى أثناء وجودك مع فؤاد سليم »

العمل لتحسين العلاقات بين عباس وحلفائه : وقد توجهت للسفارة ، فقابلني فؤاد بك بحفاوة ، ومكثنا نتحادث مدة ثلاث ساعات ونصف ساعة ، بدأتها بأن أعلمته أنني منتدب من قبل الخديو لمقابلته على أثر دعوتى إلى كلاران ، ووقوفى من سموه على ما دار بينهما من الحديث ؛ وان سموه شاكر للمساعى التى بذلها عند الحكومة السويسرية ، ويقول : « انها تدل على استمرار المودة بينهما من أيام المدرسة » فقاطعنى فؤاد بك قائلا : « ان ما فعلته هو الواجب » . قلت : « وسموه متشكر للدولة لأنها تفكر فى مستقبله بحيث إنها — لا سمح الله — إن لم تنتصر في هذه الحرب ، واستمرت انكلترا في مصر ، وصادرت أملاكه لعدم إذعانه لرغائبها ، ولم تقرر له مخصصات سنوية فان الدولة تعوضه عما يفقده بأملاك رعايا الانكليز فى الدولة ، وترتب له مخصصات تكفيه ؛ فقاطعنى قائلا : « أما التعويض فقد ذكرته لأنى لما كنت في الاستانة ، وشاع الخبر أن الانجليز قد صادروا أملاك الخديو والوالدة والصدر الأعظم ، تبينت أن الحكومة كانت عازمة على مصادرة أملاك الانجليز . وعلى هذا عرضت من تلقاء نفسى على الخديو ما تفعله الدولة إذا صادرت انكلترا أملاكه . أما المرتب السنوى فهذا أيضاً من البديهى ، لأن الدولة لا تترك سموه بعد أن حالفها . وهذا هو رأيى الخصوصى . أما ان كان هناك فتور بين سموه وبين بعض رجال الدولة فهو لا شىء إذا قيس بما كان بين اسماعيل باشا والدولة ، وسموه عند ما يرجع إلى الاستانة يتبوأ المكان اللائق به فضلا عن أنه لا يجد مكاناً يستريح فيه إذا لم تسمح المقادير برجوعه إلى مصر مثل الاستانة التى فيها قصره وأملاكه .

« يود الانجليز أن يرغموه على النزول عن عرشه ، ويمنونه فى مقابلة ذلك بألا يمسوا أملاكه ، وأن يرتبوا له مخصصات سنوية ؛ ولكن هذا شىء طفيف بالقياس إلى عرش مصر ؛ ثم إن سموه لا يليق به أن يمد يده إلى أعدائه ، ويتناول منهم مرتباً » قلت : « لا يبعد أن الدولة في مؤتمر الصلح تطلب عدم مس أملاكه وتقرير المرتب » قال : « هذا جائز » قلت : « نعم ان الانجليز يحاولون من مدة طويلة الوصول إلى تنازله ؛ وربما تكون يا فؤاد بك على غير علم بهذه المساعى ؛ فقد ابتدأت ونحن في فينا على يد البرنس جميل طوسون ، إذ وسط يوسف صديق باشا فى أن يعرض — إذا نزل الخديو عن العرش — ان انكلترا تحترم أملاكه ، وتخصص له من المرتبات بقدر ما كان لجده اسماعيل باشا ، وأن ولاية العهد تكون لأكبر أنجاله واشترط

البرنس أن يأخذ فى مقابلة وساطته مليوناً من الفرنكات » . فقال فؤاد : ممن ؟ فقلت : من الخديو . قال: « وربما يأخذ من الطرف الثانى شيئاً أيضاً » . قلت: « وإننى لما سمعت من يوسف ذلك أجبته إنها مسألة خطيرة ويلزم إخبار حسين حلمى باشا بها » . هذه هى المرة الأولى وقد رفض الخديو أن يدخل من الباب الذى فتح له . أما المرة الثانية فقد كانت فى عهد سفير انجلترا السابق فى برن ؛ وقد طلب من سموه أن يتنازل كتابة فرفض ، وقلت لسموه : « إن ما يطلبه السفير هو سلاحك والانكليز الذين يخشونك به يريدون نزعه منك ؛ فلو تنازلت عنه أغفلوا شأنك ، ولم يسمعوا كلامك ، وهذه عادتهم فانهم يخضعون لمن هم محتاجون إليه ، ويغضون النظر عمن لا حاجة لهم عنده » وهكذا حبطت مساعي السفير . والمرة الثالثة كانت على يدى وذكرت له ما عرضه مسيو بارودي ، واقتراحه أن يكتب الخديو ورقة يعترف فيها بالانقلاب الذى تم فى مصر ؛ وقد رفض سموه الكلام فى هذا الموضوع . فمن ذلك يتضح أن الانكليز يسعون كثيراً للاتفاق مع الخديو ؛ وسموه لما كان فى الاستانة وعرض عليه سفير انكلترا فيها السفر إلى إيطاليا ، ورفض الطلب كان يعلم بالمضار التى ستناله أدبياً ومادياً ، فلم يبال بذلك لأن مبدأه من وقت توليته إلى قيام الحرب هو السير مع الخلافة ، ولهذا تضافر معها بغير دافع من أى انسان إلا دافع الغيرة الدينية ، ودون مطلب إلا رجوع الحال فى مصر إلى ما كانت عليه قبل الاحتلال »

قال فؤاد: « وأنا أيضاً مبدئى أن أرى الدولة العلية قوية ، وأن تكون مصر مستقلة فى داخليتها كما كانت دائماً ؛ وتكون عسكريتها قوية فتساعد الدولة عند الاحتياج فتكون أشبه شيء بالعلاقة بين المجر ودولة النمسا . وهذا رأى رجال الدولة حتى أن طلعت باشا قال لى : « اننا لا نمس الادارة المصرية لأنها خير من إدارتنا » ولكن لا أخفى عنك أن بعض الأتراك يرغبون فى الرجوع بمصر الى مرتبة الولاية التابعة ؛ ولكن ليس هذا رأى رجال الحكومة . وأنا أرى أن أفندينا يجتهد في تحسين العلاقات بهم . نعم أن فيهم من هو قليل التجارب ؛ ولكن أفندينا يستطيع بما أوتى من الحكمة والقدرة أن يجذبهم اليه » قلت : « وما هى الطريقة ؟ » قال : « ببعض رسائل ودية عند سنوح الفرصة ، أو أن يعهد إلى أن أبلغهم مودته » قلت : « أن الفرصة سانحة الآن فبما أنه حضر لزيارتك ، ولشكرك وشكر الحكومة على

مساعيها فى حادثة يكن ، فحينما تكتب الى ناظر الخارجية تطلب منه بصفة خصوصية أن يكلفك بتحياته ، وإذا كلفت بشىء فاطلب من سموه الحضور عنده لابلاغه الرسالة حتى تكون سابقة ، ورويداً رويداً تتحسن العلائق بينكما ؛ وبالتالى مع الحكومة ورجالها ، وأنا أعاهدك على أنى أساعدك فى هذا ؛ ولا أخفى عنك أنى اجتهدت فى حمله على الرجوع الى بلاد المحالفين له ، وإنما الخديو مستاء ، ولا رغبة له فى الرجوع الى الأستانة ، لأنهم ألقوا فى روعه أن حياته تظل مهددة هناك ، حتى إننا كنا سعينا فى أقناعه بامضاء شهر رمضان فيها عندما كنا في فينا فلم ننجح للأسف ، وأظن أن صاحبته الفرنسية هى التى تؤثر فى فكره ، وتمنعه أن يذهب الى بلاد المحالفين ، وتجتهد فى ابعاد المصريين عنه ؛ وحكيت له ماقالته لى لوزانج فى فينا : من أن سموه لايريد أن يرى أحداً منا ، وعرضت عليه أن يحسن علاقته بالألمان . قال : « نعم لأن مسألة يكن قد أحرجتهم فى سويسرا » (١) قلت : « هذا صحيح ولابد أنهم تكدروا من ذلك ، فأرجو أن تدلنى على الطريقة الموصلة الى ازالة هذا الكدر ، كما أنى دللتك على طريقة الوصول الى تحسين العلاقات برجال الدولة » قال : « إننا اذا أفلحنا فى هذا سهل علينا أن نفلح في تحسين العلاقات بألمانيا ، أما النمسا فان كل مانقرره أنا وسفير ألمانيا يوافق عليه سفيرها هنا ، وعلاقتى بسفير ألمانيا على غاية المودة ، فلنبدأ أولا بالطريقة الموصلة الى إصلاح الأمور بين الخديو ورجال الدولة ، وانى سأسير فى هذا الطريق » ثم طلب منى أخيراً أن أكون الواسطة بينه وبين الخديو فى المخاطبات ولا أدعها لأحد آخر ؛ وانتقد الدكتور سيد كامل لأنه يتكلم بلهجة يشمئز منها الأتراك ؛ ثم ودعته وخرجت فقابلت الخديو فى دكان شديد بك(١) وعرضت عليه خلاصة ماسمعته من السفير ، فلم يعجبه القول بأن الدولة تطلب تخصيص مرتب له فى المؤتمر ، وقال : « حينئذ هى لاتريد تخصيص مرتب لى » ؟ ولما كان هذا القول اقتراحاً منى لفؤاد بك ، فقد حاولت أن أفهمه أن السفير يقول : إن أخذ مرتب من الانجليز عار على سموه لأنهم أعداؤه ، ولا يليق أن يطلب منهم شيئاً ؛ وقد فهم أن مسألة المرتب وضمان أملاك الخديو كانت من بنات أفكار فؤاد بك ، وليس بايعاز من حكومته ، ثم قال لشديد الذى كان حاضراً معنا : « هناك فرق كبير وبون شاسع

(١) سيأتى ذكرها فى فصل خاص

(٢) فى هذا الوقت كان شديد بك قد افتتح محل تجارة فى برن

بين وعد تركى ووعد انجليزى (يعنى أنه لايثق بالوعد الأول) فوافقه شديد على ذلك ،ثم قال: « ولـكنا نسير مع فؤاد سليم فنحسن علاقاتنا بالأتراك ونعمل عملنا من الجهة الأخرى ، وعند ما نصل مع هذه الجهة إلى نتيجة نقول لسليم بك : «نحن لانريد أن نعمل أمرا من وراء ظهرك ، فها هى ذى شروط الاتفاق مع الانجليز ! » وذهبنا بعد ذلك الى المحطة حيث كان فى انتظارنا الدكتور سيد كامل ، فسافرنا ولم تتهيأ الفرصة مع وجود الدكتور لسؤال الخديو عن نتيجة مقابلته للبلجيكى ، خصوصا وقد حصل الاتفاق بين سموه وبينى وبين شديد بك بألا نطلع أحدا على أحاديثنا فى مسألة الضمان والمرتب مع الأتراك .

وفي يوم ٢٩ نوفمبر كنت عند الخديو بحضور عارف والدكتور سيد كامل والبرنس ابراهيم حلمى وعبد الحميد شديد والبشرى ، وتناقشنا فى الموقف الحاضر فقلت : « ان الواجب على أفندينا أن يتخذ خطة واضحة يبين فيها رغائبه واحدة فواحدة ، فنسعى فى تنفيذها ، وأنا مستعد للعمل فيها » . فقال شديد : « وجودنا على الحياد لا يفيد ، بل يضر ؛ ويلزم أننا نلجأ إلى أحد الجانبين » . وقال البشرى : « ان أفندينا له مصالح فى مصر وفى الدولة العلية ، فلننظر إلى أهميتها ، ونضحى بالجهة التى تقل فيها منافعنا ؛ ولو نظرنا إلى أملاك افندينا نجد أن له في مصر ما يساوى ملايين الجنيهات ، وما هو فى الدولة لا يعد شيئاً إذا قيس به (يعنى أنه يرجح فكرة الانضمام لجهة الانجليز) . فقلت : « إن الانجليز لا يرغبون الآن فى موالاة سموه » وجنابه يقول: « إنهم حينما تأتى سيرته يقولون : « نعم إنه يميل الينا الآن لاحتياجه » فيبعدون عنه ، ثم إذا كانت انجلترا هى الغالبة فهى لن تسمح له بالرجوع الى مصر ، وهو لايود أن يعيش فى بلاد مسيحية ، ويفضل طبعاً الاقامة فى الآستانة ؛ فكيف يكون حاله لو انضم الى الانجليز الآن ؟ إنه لا يستطيع العودة اليها . »

وقد تناقش سيد وشديد فيما إذا كانت انجلترا تسمح لسموه أن يبيع أملاكه فى مصر ويأخذ ثمنها . فكان من رأى الثانى أنها لاتسمح خشية أن يستعمل النقود ضدهم فى مصر .

وبعد المناقشة كان رأى الأغلبية يميل الى ترجيح جانب تركيا ، ماعدا عبد الحميد شديد وعبد الله البشرى .

نص المخابرات بين عباس وملك البلجيك : وقد اطلعت فيما بعد على الرسائل

التى تبودلت بين ملك البلجيك والخديو . بخصوص توسط جلالته لدى الانجليز ، أثبتها هنا لأهميتها :

— ١ —

« مولاى :

أسمح لنفسى إذ أذكر تلك العلاقات الودية التى تشرفت بقيامها بينى وبين جلالتكم أثناء زيارتكم لمصر أنتم وجلالة الملكة ، بأن ألجأ إلى عطف تدخلكم السامى كى تعينونى جلالتكم على ايجاد حل لمشكلتى

والقد حسبت يا مولاى — بحق ولا ريب — أن المحن الشديدة التى تجتازون مضمارها ببطولة فائقة أنتم ومملكتكم الجديرة بشجاعتكما ووطنيتكما بكل إعجاب ، حسبت أن تلك المحن تزيد جلالتكم ، بما جبلتم عليه من طيبة ، عطفاً على كل بؤس ومصاب . فلما أن لقيت صديقى القديم « الكونت دود زيك » وكان بالسويس وزير جلالتكم الممتاز الذى كنت عرفته فى الآستانة ، رأيت أن أرجو منه أن يعرض على جلالتكم رغبتى فى الوصول بفضل عطفكم وتدخلكم إلى تسوية مع انجلترا ، ترضينى وترضى حكومة صاحب الجلالة البريطانية معاً

وسأظل يا مولاى مديناً لجلالتكم بالعرفان كله لتكرمكم باعانتى على إيجاد ذلك الحل الذى سيعرضه على جلالتكم « الكونت دود زيك » إذا تفضلتم جلالتكم فأذنتم له بالعرض واستقبلتموه . ولجلالتكم ، إذا رأت هذا الرأى ، أن تسمح له بأن يقوم عند الضرورة لدى حكومة صاحب الجلالة البريطانية بالمساعى المطلوبة

وإنى لأتمنى من الأعماق أن أرى فى أقرب ما يستطاع ، جهود جلالتكم التى تفوق كل جهد بشرى ، مكللة بالنجاح .

وأرجو ، إذ أعتذر مخلصاً عن إقلاق جلالتكم فى هذه الظروف المؤلمة ، أن تتفضل جلالتكم بقبول عبارات احترامى وإخلاصى

لوزان فى ١٢ مارس سنة ١٩١٦ — عباس حلمى »

— ٢ —

« مولاى :

لما تسلمت كتابكم وكتاب « الكونت دود زيك » بادرت بالعمل على السعى لدى الحكومة البريطانية .

وقد وصل إلى الرد الآن . ومنه علمت أن الحكومة الانجليزية مستعدة ـ بناء على تعليمات سر ادوارد جراى ـ لأن تقترح على سموكم تسوية إذا شئتم

وإنى لأذكر بالسرور ذلك الترحاب الجميل الذى لقيتمونى به فى مصر منذ خمس سنين ، وأحفظ من أجله خالص العرفان .

وأرجو من سموكم أن تثقوا دائماً فى أصدق عواطفى نحوكم .

« لابان » فى ٢ يونيه سنة ١٩١٦ البير »

— ٣ —

« مولاى :

سلمنى الكونت دود زيك الرد الرقيق الذى بعثتم به جلالتكم إلى في الثانى من شهر يونيـه .

وإنى لأشكر لجلالتكم ما تفضلتم به نحو طلبى من حسن القبول

وإنى كما أخبرت « الكونت دود زيك » لا أزال في الحالة التى أملت على طلبى ، ولذلك فانى أنتظر اقتراحات التسوية التى سيبلغها إياى سر ادوارد جراى

ولعلى أستطيع المفاوضة بشأن هذه التسوية مع مندوب من قبـل الحكومة البريطانية يكون واقفاً على مجرى الشؤون المصرية ، إذ يساعد هذا كثيراً على الحل المرغوب

فأرجو من جلالتكم التفضل باقتراح هذا الرأى ، وأشكر لجلالتكم هذا التفضل من كل قلبى

وإنى لأبتهل بالدعاء لجلالتكم بالهناء وتحقيق كل الآمال

وأرجو أن تتفضلوا يامولاى بقبول عبارات أخلص الاحترام

لوازن فى ٧ يونيه سنة ١٩١٦ عباس حلمى »

تسمية النقود الألمانية والحجز على مبلغ يوسف صديق : سبق أن ذكرت أن وزارة الخارجية الألمانية أرسلت موسيو بادل (الذى كان بمصر قبـل الحرب وله اتصـال بعباس وبى) لتسوية حساب النقود الألمانية مع الخديو في السويسرة

وقد رد عباس ما كان باقياً من هذه المبالغ وأخذ مخالصة من الألمان بها ، رغم معارضة صاحبته مدام لوزانج فى رد هذه المبالغ

عباس يوسف صديق : وقد علم القارىء من مذكرات العام الماضى أن يوسف صديق قد أخذ مبلغ مائة ألف فرنك لنفسه من هذه النقود .

وقد أودع منها فى بنك زوريخ مبلغ خمسة وسبعين ألف فرنك ، فحجز عباس عليها ، ورفع قضيته بمبالغ كانت للخاصة الخديوية عند يوسف ، مما أوغر صدره ، فألف رسالة كلها مطاعن فى سموه ؛ وقصد الى النمسا ليطبعها هناك ، ولكن حكومتها علمت بالأمر فمنعت طبعها

وفى يوم ١٨ فبراير لقيت على الشمسى فأخبرنى أن يوسف حضر من فينا ليشاور محاميه فى الدعوى المقامة ضده ، وأنه سأله : لماذا لا يسلم للخديو فى هذا المبلغ مع أنه من نقود الألمان ؟ فأجاب بأنه يريد أن يجبر عباساً على رد أموالهم التى أخذها ، قال الشمسى : فقلت له : « ولكنى أعرف أنه حاسبهم ودفع الباقى عنده لهم » فأجاب بأن المدفوع ليس هو الكل ، بل ستمائة ألف فرنك فقط ، فأكدت له أن المدفوع أكثر من ذلك ، فقال يوسف : « حينئذ أنا أطلب منه أن يترك لى مبلغ عشرين ألف فرنك باقى مرتبى ، لأنه كان يعطينى نصفه فقط ، ونفقات أنفقتها فى مهام لم آخذ منه بدلها » . فقال الشمسى : « الأصوب أن تذهب لمقابلة سفير ألمانيا فى برن ، وتعطيه تحويلا بالمبلغ وتنتهى المسألة ، وربما صفح عنك الخديو » فقال : « وأنا بعدها ماذا أصنع ؟ وقد قطع الأتراك مرتبى ، لأننى رفضت العودة إلى الآستانة إذ رأيت أننى إذا أجبت طلبهم وعدت فربما قطعوا المرتب بعد شهرين أو ثلاثة وحظروا على الخروج » .

ثم ذكر للشمسى : أن بوليس الخديو أنشط من البوليس السرى فى سويسرة ، فانه ما كاد يطأ أرضها حتى علم من محاميه الثانى أن محاميه الأول الذى اشتراه الخديو ، حادثه تليفونياً وسأله عن سبب حضور يوسف . ولم يكن قد عرف بعد بحضوره . وكذلك لم يكد يستقر بالفندق حتى حادثه نشأت باشا الالبانى تليفونياً ، وسأله عن مهمته فى السويسرة ؟ فرد عليه بأنه حضر من أجل القضية المقامة ضده من الخديو ، فقال له : « إن المسألة لا تحتاج لقضية ، ويمكن انهاؤها فى دقائق »

وفي يوم ٦ مارس كنت في لوزان عند الخديو بحضور لبيب وفهمي والشمسي، فأخبرنا أن يوسف أراد التقرب منه ، ووعد بتقديم الرسالة التي ألفها ضد سموه مع كتابة يقول فيها : « انه كتب تلك الرسالة في فورة غضب ، وأن أعداء الخديو انتهزوا هذه الفرصة فحرضوه على التشهير به » أما المبلغ المحجوز فقال عباس: « انني قدمت للمحكمة مخالصة من الألمان ، ففقد يوسف حجته ، واقتنع بأنه لا مفر من الاستيلاء على المبلغ ، فسلم سلاحه »

وفي يوم ٢ ابريل علمت من اسماعيل لبيب أن الخديو تنازل ليوسف عن عشرين ألف فرنك ؛ وانتهت بذلك القضية ؛ وانقطعت العلاقات بين عباس ويوسف صديق

بين عباس ورجاله والوطنيين :

بيني وبين سموه : ذكرت فيما مر وقوع جفوة بيني وبين الخديو من وقت أن صارحته برأيي في جلسة الجمعية التي ألفت للنظر في كل ما يهمه ، وتكلمت بشدة في وجوب توضيح سياسته حتى نعرف اتجاهه ؛ وأنني أقمت في جنيف وأبلغت من قبله أن أبقى حتى ترد لي أوامر أخرى

وفي يوم ٢٦ فبراير سنة ١٩١٦ زارني الدكتور سيد كامل ؛ وأبلغني أن الخديو قال له يوماً : « إن شفيقاً أوحشنا ، ومضت علينا مدة لم نره فيها ، وإن شاء الله سنراه حينما نذهب إلى لوازن » (وكان يقيم في قصر كلاران مع صاحبته) فأجبته بأن سموه كان قد قال للشيخ عبد الحميد ، إنه سيأمر باستحضاري ولكن هذا لم يقع للآن .

وفي اليوم التالي علمت من هكسيوس أن الخديو حضر للوزان واجتمع به ، ثم عاد ، فعجبت في نفسي من أنه لم يرسل إلي كما أرسل لهكسيوس

وفي يوم ٤ مارس زارني عبدالله البشري ، وأخبرني أن عباساً حضر إلى لوزان وسيسافر غداً (أي ليس لديه وقت لمقابلتي !) وأنه أرسل ليأخذ ما لدي من الأخبار ، فأعلمته بما عندي

وفي يوم ٦ مارس ورد لي أمر تليفوني بالحضور إلى لوزان لمقابلة سموه مع لبيب وفهمي والشمسي فلما دخلت عليه رحب بي كثيراً ، فقلت : « يا أفندينا أنت

أوحشتنى كثيراً، وهممت بتقبيل يده فأبى ؛ وكان لطيفاً جداً معنا فى هذه المقابلة . وجلس يسامرنا حتى منتصف الليل ، وتوالت رسل صاحبته إليه لتناول العشاء حتى ملت ، فأكلت بمفردها

وفى يوم ٦ مايو كنا مجتمعين بسموه ؛ واستطرد الحديث إلى المصريين الذين يطلبون إعانات ، فتهيج وقال : « كل ساعة « فلوس فلوس » ما بقى على إلا أن أحضر ما عندى من النقود ، وأقسمه مثل التركة بيننا ونستريح » فتألمت من ذلك ورددت بشدة قائلا : « ولماذا كنت تنفق على الشيخ محمد عثمان ٢٥٠٠ فرنك ؟ أنا ما كنت راضياً عن ذلك فقال : « اسأل هؤلاء الجالسين الذين التمسوا منى هـذه الاعانة » ثم سكت .

وقد علم القارىء في فصل سابق أن سموه رتب لى ألف فرنك حينما قطع مرتبى من الاستانة ؛ ثم عاد فاقتطع نصفه دون سبب ظاهر ، فكتبت إلى يكن باشا أسأل عن سبب هذه المعاملة ، فلم أتلق جواباً . ثم قضيت نحو شهرين فى مدن الحمامات وعدت ولم يستدعنى سموه

وفى يوم ٣ سبتمبر أخبرنى الدكتور سيد كامل أن الخديو قال فى ذات يوم : « ان شفيقا غضبان لأننى أعطيه فقط خسمائة فرنك مع أن سفير النمسا فى برن لا يأخذ أكثر من ذلك ! »

وفى ٩ منه وردت لى رسالة من الشيخ عبدالحميد يقول فيها : « إن الجناب العالى أمره أن يكتب إلى بأن سموه راض عنى ، وأنه لم يستدعنى بعد «لعدم وجود أعمال الآن ! » . ويطلب منى أن اكتب رسالة بالشكر لسموه على سؤاله عنى ، وسروره بعودتى من الحمامات ؛ وقد كتبت هذه الرسالة

وفى يوم ٧ أكتوبر قابلنى شديد بك وسلمنى اشتراك السفر وقد أرسله الخديو إلى للذهاب فى الغد إلى كلاران ، مهنئا بالعيد .

ولما دخلت عليه وقف وخطا نحوى باشا وأخذ بيدى قائلا « كل عام وانت بخير يا شفيق باشا » فأجبته : « إن شاء الله نعيد على سموكم فى العيد المقبل بمصر » .

وكان مع سموه البرنس عبد المنعم ونجل محمود مختار باشا ، والبرنس محمد على (وكان قد خرج من ايطاليا إلى السويسرة وأقام فى جهة منترو)

وفى يوم ٢٠ أكتوبر وردت لى رسالة من الشيخ عبد الحميد يقول فيها : « إن

الخديو بلغه ذهابك الى طبيب العيون ، وأنه أشار بعملية ، وهو يتمنى لك الشفاء فأرسلت شاكراً

وفى يوم ١٧ نوفمبر قابلت الدكتور سيد كامل وكان الخديو قد بعثنى لمحادثة فؤاد بك سليم فى مهمة تختص بحفظ حقوقه فى السويسرة كخديو مصر و بحث فى مهمتى . فقال لى الدكتور : « إن الخديو يقول : « هناك فرق كبير بين شفيق ويكن فان الثانى إذا ذهب فى مهمة لايتكلم إلا فى عرباته وخيوله التى بيعت في مصر» ثم قال : « وإننى أهنئك يا باشا بما استعدت من ثقة أفندينا بك » فضحكت فى نفسى وقلت : « إن هى إلا مدة قصيرة ، ثم لايلبث أن يسمع منى فكرة حرة حتى يعاوده الغضب »

الشيخ محمد عثمان والخديو : فى يوم ٦ مايو دعيت إلى الخديو فى نوزان بحضور يكن وسيد كامل والبشرى، فتحدث معنا فى أن الشيخ محمد عثمان المعاون بالخاصة طلب العودة إلى مصر ، وقال : إنه يعرف موسيو بارودى وهو مستعد لأن يسهل له العودة ، ثم أظهر سموه ألمه لأن هذا الرجل خرج على طاعته قبل ذلك ، وذهب إلى فينا ، وكتب رسالة حشاها بالطعن فيه ، ثم عاد منها فدفع له مبلغ ألفين وخمسمائة فرنك إعانة له ؛ وبعد ذلك يطلب أن يتركه ويعود إلى مصر .

قلت : «إننى متأكد أن سموكم إذا رخصتم له في العودة لم يوفق لذلك ، ويصبح وليس له معين » فوافق على قولى ؛ ثم أمر الدكتور سيد كامل بأن يستحضره ، ويقول له : «إن الخديو يرخص لك فى السفر وسنسوى حساب الفندق الذى تقيم به ، وليس لك بعده شىء فى ذمتنا »

قلت: « ولكن تبقى مسألة... » فقاطعنى قائلا: « و نعطيه أجرة السفر؟» قلت : نعم ووافق يكن والدكتور على قولى . فاحتد الخديو وقال : « أنا لا أعرف لكم مذهبا فلماذا تطلبون منى إعطاءه نقودا مع علمكم أنه غير مخلص ؟ » . ثم قال : « لقد كان الشيخ احمد الزناتى رجلا مخلصا حقيقة ، ولكنه لم يكن نشيطا مثل الشيخ عثمان وأنا كنت أستخدم الاثنين مع علمى بما فى كل منهما من المحاسن والعيوب . وأنكم لتعترفون بعدم إخلاصه ، فلماذا يا ناس تطلبون منى نقودا ؟ » فسكتنا لما أيناه من انفعاله

وفى اليوم التالى قابلته وقلت له : « إننى لم أرد أن أرد عليه أمس نظرا لانفعاله ولكننى أود إبعاد الشيخ بطريقة حسنة . وذلك باعطائه مرتب شهر قائلين له :

« إن افندينا لايمانع مطلقا فى سفرك ، وها هو ذا مبلغ كذا لتنفق منه فى السفر » فيعلم الناس أنه غير مطرود ، وعندئذ يلاقى صعوبات فى عودته إلى مصر » قال سموه : « نعم يقولون إننا متفقون على تسفيره » فأكملت حديثى قائلا : « أما لو طردناه بالطريقة التى كان يراها الخديو ، فانه يلقى صدرا رحبا من أعدائنا » فقال : « ياشيخ حينما يأتى له الأمر بالسفر يعطيه بارودى نفقاته » فأصررت على رأيى

وقد حضر الشيخ فى اليوم نفسه فكلمه يكن بحضورى وحضور الدكتور سيد كامل بما تم الاتفاق عليه ، فدهش ، وقال : « إنه بقى له من حسابه القديم خمسمائة فرنك » . فأرجأه يكن إلى غد للنظر فى حسابه . فقال : « أى حساب ؟ كل هذه إحسانات من أفندينا بارك الله فيه . ولكن ماذا أصنع حتى يأتى لى الأذن بالسفر ؟ أنا استأذنت فى اتخاذ الاجراءات ، ولكن لم أصنع شيئا للآن » فرد عليه يكن بأنه ذكرا أنه تكلم فعلا مع بارودى

وقد بات ليلته متكدرا ولم يستطع تناول العشاء .

وفى يوم ١٣ يونيو أخبرنى الدكتور أن الشيخ أرسل يسترحم الخديو ويطلب معونته وهو خالى اليد فى بلد أجنبى ، ووقع رسالته « المخاص الحقيقى » ! (١)

عباس ورجال الحزب الوطنى : ذكرت فيما مضى أن هناك نفوراً بين رجال الحزب الوطنى فى أوربا وبين الخديو من جراء رفضه للمساعدة على إنشاء الجريدة وكذلك لما بدر من اللوم على شرائه العقد لصاحبته

وفى يوم ١٩ ابريل قابلت الخديو فى فندق لوزان بالاس بحضور الدكتور سيد كامل ، فأنبأته أننى علمت بأن محمد بك فريد الموجود فى فينا أرسل برقية يقول فيها : « إنه عائد قريباً للسويسرة » فتكلم وهو مستاء من فريد ، وذكر أن الشمسى ولبيباً طلبا منه أن يضمنهما فى سلفة ، وأنه بعد أن وسخه المصريون لايريد أن يتدخل فى مسائلهم ، ثم قال : « ها هو ذا دومر تينو بك الأجنبى الذى كان يعلم كثيرا من أسرارى ، ولايعرفها أحد سواه لم يبح بشىء منها حتى الآن ؛ ولكن المصريين تكلموا فى حقى كثيرا . إنما لم أسمع شيئا عن لبيب ، مثل ماسمعت عن فريد والشمسى . وإذا عاد فريد وكان محتاجا لمعونة مالية مثل زميليه فاننى سأرفض معونته ؛ ولو ساعدت لبيبا دونهما فربما أبى أن يقبل مساعدتى وحده »

---

(١) وقد بقى مع الخديو

وقد أراد الدكتور أن يدافع عن فريد فقال : « إنه أخطأ حقيقة فى أخذ كلام « حسين شيرين » قضية مسلمة عن مشترى افندينا مجوهرات لمدام لوزانج ، وإخبار الطلبة بذلك لكنه من المخلصين لسموكم » . فقال : « لا ، الغلطة الكبرى هى ذهابه للسفيرين الألمانى والتركى فى فينا وقت وجودنا هناك ، وما قاله لهما بشأن عودتى إلى الاستانة » . فقال الدكتور : « ولكن سموكم صفحتم عن الشمسى ، ويستحب الصفح عن فريد فى هذه الظروف الحرجة » فقال عباس : « أنا لست أريد أن أعرض عن مقابلة فريد إذا حضر ، ولكنى أعرف أنه غير مخلص كما تقول ، وهل نسينا ما كان يدور من الكلام فى بيوكدره تحت الشجرة بين فريد وباقى رجال الحزب الوطنى من تهديدى قبل وقوع الاعتداء على ؟ ألم يقل لك لبيب إنه كان يعلم بما سيحصل لى فى الاستانة باتفاق مع السلطة المحلية ؟ » قال سيد : « إن لبيبا كان يسمع من مظهر أنه يريد أن ينتقم من سموكم ، ولكنه ما كان يصدق ، بل كان يقول انه هذر أطفال ، وكان يعلم بعداء الحزب الوطنى لكم قبل الحرب ؛ لكنه انضوى بعد ذلك إلى سموكم » . فقال عباس : « على كل حال أنا لا يمكننى أن أساعد الشمسى وفريدا »

مدام لوزانج تعرف نقطة ضعف عباس فتستغلها : وفى يوم ٢٣ ابريل كنت أحادث الدكتور ، فأبدى لى تألمه مما سمعه من الخديو فى الجلسة الماضية بشأن رجال الحزب الوطنى ؛ وقال : « إن صاحبته هى التى تزين له ذلك ، وقد عرفت مواضع الضعف فيه » واستشهد بما رآه ذات يوم من الخديو وقد جلس يفرز الرسائل الواردة ويفصل منها الجزء الأبيض الخالى من الكتابة فيحتفظ به ، فما كان منها إلا أن أخذت رسالة سهاعنها وصنعت بها كذلك ! وهى الآن تستغل حرصه فتقول له : « ما الذى نفعك به المصريون فتنفق عليهم ؟ » وتحسن له ابعاد رجاله واحدا واحدا اقتصادا للنفقات .

وقد سمعها الدكتور مرة تقول مثل هذا الكلام ، فآخذها عليه فى غيبة الخديو وأفهمها أن رجل الطبقة الوسطى هو الذى يفكر فى مسائل صغيرة كهذه ، ولا يصح أن يفكر الخديو فى مثل هذا وهو ملك ، وقد دعاهم للحضور عنده فى ضيافته .

ولما نقل هذا الكلام للخديو حنق على الدكتور سيد كامل

وفى يوم ١٣ يونيو قابلته فى لوزان ، فعلمت منه أن الخديو غاضب عليه ، لأنه أمره باستدعاء اسماعيل لبيب من « ليزافان » حيث يقيم مع فريد والشمسى ، فوجد أنه إذا استدعاه بمفرده يكدر الآخرين ، وخصوصاً بعد أن تقابل الثلاثة واياه ،

وعلم منهم أن فريداً مستاء لاهمال الخديو له بعد أن قبل الاشتغال معه في مسائل خطيرة ، ومنها المخابرة مع الانجليز الأمر الذى كان يعتبره فريد وإخوانه خيانة وطنية . ولهذا امتنع فريد والشمسى بلوزان ولم يقابلا سموه ؛ واحتج فريد بأن قدمه تؤلمه ، وهو يلبس شبشباً .

أما عباس فقد أراد استدعاء لبيب وحده إغاظتهما نظراً لذلك ، فاستكلف الدكتور أن يدارى الأمور ، ويؤجل حضور لبيب على حدة فلم يفلح . وأخيراً أبلغ فريد تليفونياً تحيات الخديو وأن الأحسن تأجيل المقابلة حتى تشفى قدمه وأن يحضر لبيب وحده . وبذلك لم يشعر فريد بشىء ؛ ولكن الخديو غضب على سيد كامل غضباً شديداً لما علم بذلك .

وفى يوم ٦ يوليو قابلته ، فأخبرنى أن فريداً ولبيباً والشمسى قابلوا الخديو وتفاهم معهم على السير فى مخابرة الانجليز ، ولكنهم طلبوا قبل موافقتهم على ذلك أن يعطى كلا منهم مرتب سنة مقدما بواقع أربعمائة فرنك فى الشهر ، لأن الأتراك إذا علموا باشتراكهم قطعوا المرتب الذى يعطونه لفريد ولبيب .

أما عباس فأراد أن يعطيهم شهرا شهرا ، واعتبر أن شرطهم معناه عدم الثقة به ، فلم يقبلوا .

وأبلغنى الدكتور أنهم قالوا : « هانحن أولاء نرى أمامنا كيف يعامل شفيقاً وسيد كامل وهما من رجاله المخلصين ! » .

العلاقات بين الخديو وحلفائه :

فتور العلاقات بين عباس والنمسا : فى يوم ٦ مارس أخبرنى الخديو أنه كتب الى حكومة النمسا بأن والدته مريضة بالآستانة ؛ وأنه يريد إرسال أحد أبنائه لرؤيتها ولكنه يخشى أن يحجزه الأتراك فى الآستانة ، ولذلك يطلب المعونة احتياطا لهذا .

فجاءه الرد منها بأنها مستعدة لمساعدته فيما تمكن ، بدليل أنها منعت يوسف صديق من طبع كتابه ضده (الذى سبق ذكره) وكذلك منعت نجيبا من مبارحة البلاد النمسوية بعد مجيئه اليها لما علمت أنه غير مخلص لسموه . ولكن مسألة المخابرة مع الحكومة العثمانية فى عدم حجز ابنه يعد تدخلا فى الشؤون الداخلية لتركيا .

ومن ذلك علم الخديو بتغير النمسويين من ناحيته ؛ فأرسل دعوة الى الكونت دى تورن قنصل النمسا في جنيف ، فلبى الدعوة يوم ١٨ مارس ، ورحب به سموه

كثيراً ، وذكره الأيام التى قضوهامعا فى التريانوم ، وأنه لازال يحفظ مودته القديمة، وبهذه الصفة يتحدث معه . ثم أخذ يشرح سياسته مع الانجليز ، وكيف دافع عن مصالح مصر ، وقاسى المتاعب الجمة ، وكيف حالف الاتراك والألمان ، ثم شكا سوء معاملة الأتراك إياه بما أجبره على مبارحة الاستانة . وكيف بعد هذا أهمله الألمان ولم يسمح امبراطورهم بمقابلته ؛ ثم شكا من حكومة النمسا نفسها لأنها قد خصصت لمراقبته حينما كان بويانه اثنين من رجال البوليس السرى يتعقبانه ، حتى اضطر أن يشكو لنظارة الخارجية ؛ وعندئذ اعتذر له رئيس البوليس . وقال سموه في النهاية : « إنه ينتظر انتهاء الحرب ، فيتنازل عن عرشه ، ويطلب من الانجليز تخصيص مرتب له ، ويستريح من هذا العناء »

سحابة تنقشع وفى يوم ٢٣ منه بلغنى من الكونت نقلا عن موسيو أرفاى النمسوى ـ وكان فى خدمة عباس ـ أن الخديو تشاور معه فى أن يذهب لبودابست ليرى القناطر التى أقامها النمسويون على نهر الطونة بعد فتح الصرب ، وأن صاحبته عارضت فى ذلك ، فقال لها : إنها تنتظر فى السويسرة حتى يعود سموه

وقد استغربت في نفسى أن يكون ذلك عزم الخديو حقيقة ، وفهمت أنها ربما كانت مناورة منه ، لاذاعة هذه الرغبة عنه فى بلاد النمسا وألمانيا ، حتى يعلموا أنه لم يتحول عن صداقتهم

عودة اهتمام الألمان به وقد علمت ألمانيا فعلا بذلك العزم ، فأرسل مسيو ياجو ناظر الخارجية بواسطة سكرتيره يطلب مسيو أرفاى للحضور إلى برلين ، وفى رسالة استدعائه ما يشير إلى أن السياسة الألمانية نحو الخديو أصبحت طيبة ، فلم يستحسن سموه استدعاء أرفاى مباشرة بغير اذنه ، وأجاب مستدعيا السكرتير إلى زوريخ لمقابلته ، على أن تكون نفقاته من جانب سموه

وفى يوم ١٣ ابريل علمت من الكونت بأن مسيو ياجو أرسل برقية للخديو فحواها أن الامبراطور مستعد لمقابلته ؛ ويدعوه الناظر إلى برلين ، ولكن سموه يتمنع ؛ وربما أدى هذا إلى قطع الحبل بينه وبين محالفيه ، وقال لى كذلك : إن أرفاى أبلغه أن الخديو يسوف ويتريث فى السفر إلى المجر ، بعد أن كان يريد أن يسافر سريعا

وعند ذلك تأكدت أنها كانت مناورات فقط كما فهمت ذلك من قبل

وفى يوم ١٨ ابريل زارنى على الشمسى ويوسف صديق ، فعلمت من الأول أن

ألمانياً له علاقة معه (وربما كان ياقوبى وهو جاسوس لألمانيا فى النويسرة) أخبره بأن المسيو فيزندوق الذى يشتغل بالمسائل الشرقية فى نظارة الخارجية ببرلين حضر إلى مونترووه عند والده، ويحب أن يجتمع بالشمسى ويدعوه إلى الشاى، فذهب الشمسى أول أمس وقابله ومعه الألمانى (ياقوبى) وتحادثوا فى مسائل مصر والخديو، فقال فيزندوق: «إن الحملة العثمانية ستزحف على مصر فى الخريف القادم، لأن ألمانيا لا تتمكن من قهر انجلترا إلا فى مصر، وأن تأخيرها فى هذه السنة كان لضيق الوقت عن تجهيزها والاستعداد لها كما يجب، وأن ألمانيا لا تحب أن تفشل مرة ثانية صوناً لشرفها العسكرى وسمعتها الحربية، وهى لا تترك الاتراك يفعلون ما يريدون فى مصر، وتريد أن تحافظ على عهودها بأن ترجع الحالة إلى ما كانت عليه قبل الاحتلال. أما الخديو فنحن نعلم أنه حانق علينا كما أنه حانق على الاتراك، ولا باعث لتذمره لأننا لم نمسسه بضرر، وإذا لم نساعده عند الأتراك فليس معنى هذا أننا تركناه بل إننا لا نريد أن نغضبهم، لتدخلنا فى مسألة يعتبرونها داخلية»

فأجابه الشمسى: بأن سفير ألمانيا هو الذى تدخل بين الخديو والصدر، وبدلا من أن تقول يا مسيو فيزندوق: إن الواجب على الخديو أن يصلح هو بنفسه سياسته معه، يجب أن تعرف أن الشقاق الحاصل بينهما سببه كرسى الخديوية، وسعيد حليم يريد أن يختلسه من الخديو الشرعى، وليس من صالح ألمانيا ذلك، بل من صالحها أن ترضى الخديو، لأنه إذا استرسل فى كدره، فربما انقلب وأدار دفته نحو الأنكليز. وقد كنا فى وقت ما سمعنا أقوالا عنه كثيرة، وشككنا فى سياسته، ولكننا استقصينا فلم نجده قد مال إلى جهة الأنكليز كما أشيع عنه، فاذا حصل هذا الميل كان سببه انه لا يلقى معاملة حسنة منكم ومن الأتراك، بخلاف معاملة المتحالفين لمن عاهدوهم، وها هو ذا ملك الجبل الأسود كاد أن يعقد الصلح مع النمسا، أى يخون الحلفاء ومع هذا رحبت فرنسا به وأكرمته، وأثنى عليه ناظر خارجية الروسيا ثناء مستطابا. والخديو محبوب من الأمة المصرية، ولو ذهبت الحملة وعلمت الأمة بانفصال سموه من الأتراك والألمان قامت فى طريقها صعوبات كثيرة، بخلاف ما إذا كانت الأمة تعلم أنه لم يزل حليفا لهم. وعلى هذا نرى من مصلحتكم أن توفقوا أنتم معشر الألمان بين الصدر وبين سموه، وتزيلوا الشقاق. فاقتنع فيزندويق بذلك ووعد أن يسعى فى هذا الطريق، فقال الشمسى له: «إنه من المحتمل إذا تحسنت العلاقات بين الصدر والخديو أن سموه يمضى شهر رمضان فى الآستانة

« ومن حسن السياسة بين المتحالفين أن يزيلوا كل خلاف يقع بين رجالهم » قال الشمسى : « وقد أردت أن أحتاط حتى لا أقطع على خط الرجعة ، فقلت له : هذا يا مسيو فيزندوق وفق فكرى الخصوصى ، وانى لست مأمورا من سموه بشيء ما » قال : « نعم نحن نتكلم بيننا بصفة خصوصية ، ولا نحب أن يعلم عباس ولا سعيد حليم بسعينا ، وعند الشروع في التكلم لايخطر على فكر أحدهما أنها مسألة محضرة مدبرة بل إنه عمل فى صالح الطرفين ، إنما يلزم أن يكون هذا السعى بالتأنى كما يقول الأتراك : « ياواش ياواش » . فأجابه الشمسى : « نعم . ولكن نريد أن ينتهى قبل دخول رمضان ، حتى تتيسر للخديو تمضية هذا الشهر فى الأستانة ، وإذا رفض فنكتفى بدخوله النمسا ، ولو أن هناك مانعا وهو حسين حلمى باشا السفير ، الذى قال : « انه إذا قابل الخديو فلا يصافحه » ، وكان سموه قد وعده بعدم الخروج من النمسا ، فموقفه حرج إذا عاد . قال فيزندونق : « إنما يجب ألا يدخل مع حاشيته المريبة » أعنى يوسف ومحبا » فأجابه الشمسى بأن الأول خرج من خدمة سموه ، والثانى محجوز فى فينا قال : « إننا نحن الألمان كنا أردنا أن نبعدهما ، ولكن حسين حلمى هو الذى تولاهما بكفالته » ثم سأل الشمسى عن اشاعة سمعها ، وهى أن يوسف يريد الذهاب إلى إيطاليا فقال الشمسى : « إذا سافر يوسف حقيقة إلى إيطاليا يكون هذا سببا وجيها لتخلص الألمان من حسين حلمى » . ثم تحدثنا عن يكن باشا فأظهر فيزندونق أن الألمان لا يرغبون فيه إذا رجع الخديو إلى الأستانة أو الى فينا . قال الشمسى : « أما أنت يا باشا فان الألمان يقولون : إنك حقيقة الرجل الصادق المخلص ، ويأسفون لعدم وجودك على الدوام إلى جانب الخديو » وقال فيزندونق : أما صاحبة الخديو فقد اتضح لنا أنها لاتتدخل فى السياسة ، ولهذا يرجح أن مصاحبتها إياه إلى فينا لاتصادف صعوبة ، ولو أن وجود فرنسية فى النمسا أو فى ألمانيا غير مباح »

البريد الخديوى والصدر وسفير النمسا : وفى يوم ١٩ ابريل استدعانى محمد يكن إلى لوزان لمقابلة الخديو فى فندق بالاس ، وهناك قابلت الدكتور سيد كامل ، فأسر إلى أن نظارة الخارجية التركية منعت السفارة فى صوفيا أن تؤشر على جواز سفر نور الدين « حامل البريد الخديوى » وأنه ينتظر الآن فى عاصمة بلغاريا ؛ وأن الخديو يريد إرسال برقية إلى ناظر الخارجية التركية يستفهم فيها عن سبب هذه الاجراءات ، ضد رجل من رجاله يحمل رسائله الخاصة

وقد حضر نسختين . إحداهما فيها سؤال عما إذا كان هذا المنع شخصياً لنور الدين ، أو أنه شامل لكل شخص من قبل الخديو . والثانية فيها استفهام فقط عن الأسباب ، فاستحسنت الأخيرة ، لأن الأولى قد يجاب عليها جواباً يؤذى الخديو ويكشف النيات المستورة

ولما قابلت سموه وكان الدكتور حاضراً ـ عرض عليه الصورتين ـ فقرأهما، وقال له : « أنا لم أقل لك أن تكتب هكذا ، وينبغى أن تكتب البرقية ببساطة » ثم أخذ يملى عليه وهو يكتب ، ولكنه توقف عند ما أراد الخديو أن يملى عليه جملة شديدة وابتدأ يناقشه . أما أنا فتظاهرت بأنى لا أعرف شيئاً عن الموضوع ، وصمت يكن مثلى ، فبدا الغيظ على وجه الخديو ، وفهم أننا نحن الثلاثة متفقون على معارضته فقال : « أنا لا أفهم لماذا لاتريدون أن أرسل برقية شديدة لرجال الدولة أمام عمل كهذا ، فالمصريون كانوا دائما يدفعوننى إلى اعتراض كل إهانة من الانكليز ولكنهم يطلبون منى الآن ألا أفتح فمى مع الأتراك . والآن لا فرق بين خديو وموظف ، فكل يعمل حسب رأيه ، والسيد كامل يناقشنى ولا ينفذ أوامرى . إننى سأعمل وحدى » ثم تركنا وقام منفعلا .

وفي يوم ٢١ منه قابلت سموه ، فشكا لى من الدكتور ، وأنه يريد أنه ينفذ رأيه وأنه يعارض أفكاره . ثم كرر انتقاده لسكوتى أنا ويكن ، فاعتذرت بأننى لم أكن أعلم شيئاً عن الموضوع ، لأن سموه لم يطلعنى عليه . وفى اليوم التالى كان هادئا فكلفنى أن أكتب الرسالة مع يكن باشا ، فحضرنا عدة صور ليختار إحداها ، وقد أخبرنى أنه لقى فى برن مسيو توشيف (صاحبه وسفير البلغار فى فينا وفى السويسرة) فابلغه سلام الملك ، وكلفه أن يستعلم من سموه عما يطلبه منه من المساعدات ، فأجابه شاكراً ، وقال سموه : « انى فوجئت بالحرب وأنا مريض ومصاب بثلاثة جروح وبعيد عن بلدى وعن أهلى وجيشى ، فما كنت مستعداً لعمل الاحتياطات مثلما حصل من ملك البلغار ، ولهذا خسرت كثيراً ، والأتراك يطمعون فى ، والالمان تركونى ، فأنا لا أطلب من جلالة الملك إلا أن يدافع عنى كلما عرضت سيرتى أمامه ، وطعن أعدائى فى » وتكلم سموه بعدها فى مسألة منع الأتراك لنور الدين افندى من دخول الاستانة ، فأشار السفير بارسال البرقية ورجا أن تخلو مما يثير النزاع ووعد سموه أنه بمجرد رجوعه إلى فينا يفضى إلى السفير ألمانيا باستياء سموه ، ويطلب

منه أن ينصح الأتراك بالكف عن سياسة الوخز، فقلت: «نعم النصيحة» ثم أخرج سموه من جيبه الطقور التي كنت خطرتها مع يكن، واتفقنا على إرسال إحداها بعد تعديل طفيف، وهي تتضمن الاستفهام عن أسباب منع نور الدين من نقل بريد الخديو، وطلب إصدار الأوامر بالكف عن منعه.

وفي يوم ٢٣ منه قابلت في الصباح الدكتور أمستر مع الخديو، فأظهر سموه استياءه مما قاله ماكيو (الذي كان سفيرا للنمسا في روما والآن بنظارة الخارجية) لأمستر لما طلب منه توصيل بريد الخديو بواسطة حامل بريد الخارجية النمسوية، فانه أجابه معتذرا بأن بريده يعتبر خاصا، فقال الخديو: «ماكيو هذا الذي ساعدني وأنا جالس على عرشي مساعدة ما كان واحد من نظاري ليقوم بها، لما أرادت امرأتي الثانية بعد انفصالها أن تشتغل بالتمثيل[1] وتمكن هو وقنصل جنرال النمسا مسيو زميتيني أن يحولا دون ذلك بمساعيهما لدى الحكومة، وها هو ذا يقول الآن: «إن البريد الذي باسمي خاص، ولابد من استئذان سفير الدولة في نقله» مع انني قابلت امبراطور النمسا مراراً بدون وساطة. هذا ولا شك تغيير في سياسة خارجية النمسا، فكأنها تعتبرني فرداً ليست له صفة، وهذا الرفض نضيفه إلى ما قالته النمسا لما طلبت منها أن تضمن لي رجوع ابني الذي كنت أريد إشخاصه إلى الاستانة، وقد رفض غليوم كذلك مقابلتي، وها أنت ذا يا دكتور امستر حينما أرسلتك في شهر سبتمبر الماضي إلى برلين قابلك ناظر الخارجية أربع مرات في ظرف ثمانية أيام، واهتم برسالتي التي حملتك إياها، إنما اعتذر بأن هناك سببين لعدم مقابلة الامبراطور لي: الأول — خشية غضب الأتراك. والثاني — أن جلالته في مدة الحرب لم يقابل أمراء. ولقد عرفت بضعف مركزي في فينا من احتكاكي بسفير ألمانيا، فانه كان دائماً يقول لي: «اصطبر!». ولما ضيقت عليه الخناق، وأردت أن أنفذ إلى الحقيقة، قال لي بأنه يرى شخصياً أن أفضل الطرق لتمكين مركزي هو الذهاب إلى الاستانة، والاتفاق مع رجال حكومة الدولة، ثم قابلت سفير الدولة بعد ذلك فأخبرني بأنه فريداً زاره وقال له: انه طلب مني الرجوع إلى دار السفارة، وانه أي (السفير) شخصياً ينصح لي بذلك، فعلمت ان الاتفاق قائم بين السفيرين لارغامي

(١) يعني بها الكونتيس توربك

على السفر إلى الأستانة ، ولو أنهما يدعيان أن ما يقوله كل منهما هو رأيه الشخصي . عند ذلك جئت إلى هنا ، وحصلت من الأتراك الوخزة الأولى ، فأرسلتك يا أمستر إلى برلين ، وسويت المسألة . فاليوم حصلت الوخزة الثانية بمنع نور الدين افندى من العودة إلى الأستانة ، وقد أرسلت برقية لناظر الخارجية التركية أستفهم منه عن السبب — وقرأ عليه صورة البرقية — فاذا جاء الرد بما يسوء ، ففي نيتي أن أسافر إلى برن ، وأجمع سفيرى ألمانيا والنمسا ، وأعلن لهما انفصالى عن المتحالفين معى لسوء المعاملة ؛ وأكون حراً فى أعمالى مع أى جهة ومع أية دولة ، وأنا حتى الآن لم أخاطب الأنجليز إلا فى أعمال خاصتى . فقلت : « يا أفندينا الأتراك لا يرسلون رداً جارحا يسوءك لأن هذا ليس من مصلحتهم »

وفى يوم ٥ مايو طلبت تليفونيا لمقابلة الخديو . ولما لقيته قال لى : « إننى أرسلت أطلبك لمسألة هامة ، وهى أن جلال الدين باشا أخبرنا أن سفير الدولة كلمه تليفونيا من برن بأنه تسلم برقية من الأستانة ، فحواها اننى إذا طلبت شيئاً فلا أخاطب فيه الصدارة ، وهذا ردا على البرقية التى أرسلتها إلى خليل بك بشأن نور الدين فأنا أفكر فى أن نطلب من جلال الدين تدوين هذه الأشارة التليفونية كما وقعت ثم نكتب إلى الصدر بما معناه : إننا لما منع نور الدين بأمر من الخارجية كتبنا إلى الناظر الذى أصدر أمر المنع (لأنه من حقوقنا أن نخاطب حتى الولاة) فى ذلك منعا لأقلاق خاطر الصدر في مسألة تافهة . أما الآن وقد وردت لنا الأشارة المذكورة فنحن بكل ارتياح نكتب إلى الصدر ، فقلت : « هذا حسن يا أفندينا ، خصوصا وأن سموكم كنتم تبحثون عن وسيلة للمخابرة الرسمية مع الصدارة ، كما كان الحال قبل الانقلاب ، فالأتراك الآن قد أوجدوا لنا الوسيلة » قال : « ونرسل برقية نطلب فيها أن يرخص لأحد موظفينا فى الأستانة بالحضور إلينا لتسلم الخطاب إلى الصدارة » قلت : « إذن ربما قالوا : إنه يكفى توصيل المظروف إلى سفارة الدولة فى برن » قال : « صحيح ! وخصوصاً أن الرجل الوحيد الذى اعتمد عليه هناك هو ابراهيم بك أدهم ، ولكن هل يمكنه أن يتكلم مع الصدر ؟ لأنى أريد من يحمل هذا الخطاب أن يتكلم فى مسألة سيد كامل (الذى يدعون عليه أنه خطب بين المصريين لما كان فى الأستانة ضد الدولة) وفى مسألة البشرى (ويقال إن الأتراك حكموا عليه لسفره من الضلمان إلى مصر ، وتركه تعليمات لموظفى التفتيش مقتضاها أنهم

إذا نزل الأعداء فى الأناضول فلا يقاومونهم ، وإذا طلبت الحكومة التركية هناك إخلاء الجهة لايصغون لها) ويستصدر قراراً بأنهما بريئان مما نسب اليهما بحيث يتيسر استخدامهما فى حمل البريد بدلا من نور الدين » فقلت : « إن ابراهيم أدهم لايصلح » قال: « وكنت فكرت فى إرسال جلال الدين، ولكن بعد أن سمعت من أولادى ما يقولونه لهم (يعنى جلال الدين وحرمه) لايمكن أن أعتمد عليه ، فأنه بلغنى أنهما يقولان لعبدالمنعم : كيف أنك ولى العهد ووالدك لا يشترى لك سيارة ؟ هأنت ذا ستبلغ رشدك فتطلب حقوقك وهكذا من الكلام المثير . . . فغرضهما أن يثيرا أولادى على ، ومن ثم لا أعتمد على جلال الدين » وقد فهمت أن الخديو يفكر في إرسالى ، فقلت : « إن أرسلت تركياً أو مصرياً لا يفيد ؛ وقد تصادفه عراقيل ، أو يسمع كلاماً من الصدر جارحاً فى حقكم ويمكن منع خروجه ، فأنا أرى أن خير وسيلة هى استخدام أجنبي . أين مسيو رامبير مثلا » قال : « الأتراك أخرجوه فلا يقبل أن يذهب الآن الى الأستانة » قلت : « ترسل الدكتور امستر باعتباره سكرتيراً المانيا لسموكم ، فالصدر لايجسر على أن يفوه بكلمة أمامه تجرحكم ، وبذلك تحفظ كرامتكم من جهة . ومن جهة أخرى يستطيع أن يتكلم بكل ما تريدونه دون مبالاة ، ولا يتأتى منع خروجه من الأستانة » فقال : «النهاية أنت ويكن وسيد كامل تجتمعون بجلال الدين ، وتكتبون الرد أما الشخص فبعدها نفكر فيه »

وفى اليوم التالى أخبرنى أنه زار ملحمه باشا ، وسأله رأيه فى مسألة الأشارة التليفونية التى وردت من برن ، فأشار عليه أن يرسل خطاباً إلى الصدر لايذكر فيه هذه الأشارة . وإنما يستفسر عن سبب منع نورالدين ، ويسأله تسهيل رجوعه إلى الأستانة ، ويومىء إلى برقيته السابقة إلى نظارة الخارجية قائلا : « إنه قصد بها مراجعة الصدر إذا اقتضى الحال » قال سموه : « ولكنى لم أوافق على السكوت عن إشارة برن » ولهذا تقرر أن نكتب إلى الصدر نعلمه بأرسال برقية الخارجية لمجرد الأستفسار أولا ، ثم الالتجاء الى الصدارة .

وفى يوم ٨ مايو كتبنا الرد ، وهو يتلخص في أن نورالدين افندى الذى يحمل بريد الخديو أبرق بأنه محجوز فى صوفيا ، فخاطب سموه ناظر الخارجية الذى أصدر أمر المنع ، يطلب الترخيص له فى السفر ، وأنه علم من السفارة فى برن أن فخامة

الصدر توى أن تكون المخاطبة معه رأسا ، ولما أبداه فخامته من الصداقة لعائلة سمو الخديو ، يرجو سموه ألا يصادف الموظفون الخديويون ما يعوقهم ، حتى يتسنى له الاتصال بعائلته على الدوام ؛ وأن الدكتور امبيتر السكرتير الخاص هو الذى سيسلم هذه الرسالة

وقد سمح بعد ذلك لنور الدين بالسفر ، وقال الصدر لامستر : « أن الخديو يمكنه أن يرسل بريده بواسطة سفارات الدولة ، وأنه سيرسل أوامر بذلك »

وحتى يوم ٢٠ نوفمبر لم تكن هذه الأوامر قد وردت ، فكلفنى الخديو أن أقابل فؤاد بك سليم مستفسرا ، فعلمت أنه لم تصل إليه أوامر بهذا الخصوص ؛ ولكنه مستعد لقبول البريد وتوصيله بمعرفته ، وأنه يعمل دائما للوفاق بين الجميع

وفاة إمبراطور النمسا : وفى يوم ٢٢ نوفمبر توفى امبراطور النمسا فرانسوا جوزيف فقرر الخديو أن يذهب مع جلال الدين وموسيو ارفاى لتعزية سفير النمسا فى برن. وكنا نريد أن ينتهز سموه هذه الفرصة فيسافر إلى فينا للتعزية ؛ وبذلك يستأنف العلاقات الأولى ، ولكنه أبى

وفي يوم ١٥ ديسمبر أخبرنى ارفاى أن موسيو جلنك مرسدس قنصل جنرال النمسا سابقا في نيس ، وأحد معارف الخديو يريد أن يحادثنى ، فتوجهت إلى فندق ناسيونال بجنيف الذى ينزل به.

المساعى للتقريب بين الخديو وحلفائه : وقد علمت منه أولا أنه رفع تقريرا إلى الامبراطور غليوم لاستمالة جلالته إلى الخديو ، وتقريرا آخر إلى مسيو بوريان ناظر خارجية النمسا بواسطة واحد من معارفه فى الخارجية ، قبل أن يتوسط في توصيل ما يكتبه ويرسله إليه وبعد أن أطلع الخديو على التقريرين أرسلهما ، فلم يأت الرد له عن الأول ولا الثانى. إنما جاء له فى المدة الأخيرة أحد رجال البوليس السرى النمسوي فى مهمة لا يعرف بها أحد، حتى سفارة النمسا فى برن وقال له : «إنه مأمور بأن يبلغه وصول تقريره لمسيو بوريان وردا عليه يقول : « ان سياسة الخديو غير واضحة وأنها تسير بين ما بين والحكومة النمسوية من أجل هذا غير واثقة من سموه » ثم ترك هذا الرجل مسيو مرسدس دون أن يعلم باسمه. قال مرسدس : « وقد صرحت للخديو عند زيارتى سموه منذ أسبوع في الهوتيل ناسيونال أنه ما دام على سياسته هذه العوجاء ، فلا تكون العاقبة خيرا له ؛ ومن الواجب أن يتبع خطة واحدة ، ويعلن أنه لم يزل فى جانب حلفائه إذا أراد أن تسمع

لله كلمة عندهم ، قال : «ولعل كلامى هذا أغضبه ، ويحتمل أنه لا يريد رؤيتى بعد الآن» فأجبته بأن الخديو يسمع الحقائق ، ولو كانت مرة ، وقصصت عليه ما دار بينى وبينه من المشادات التى كنت أظن بعدها أنه لا يريدنى مرة أخرى ، ولكنه طلبنى وعهد إلى بأعمال ، وحسبما أرى أنه يستسلم للغضب ساعة ثم يعود إلى السكينة ، ويقدر الكلام حق قدره بعد أن يهدأ باله

قال مرسدس : «إن حفلة تتويج امبراطور النمسا ستكون فى آخر ديسمبر فهل يرسل من ينوب عنه إليها؟» قلت : «هذه فرصة سانحة الآن، فاذا أراد اصلاح أمره مع حلفائه ، فما عليه إلا أن يذهب بنفسه لحضور هذه الحفلة»

ثم أخبرت مرسدس بأن الحالة النفسية في باريس ولوندره وبطروجراد وروما رديئة ، فان الأهالى تحس بالضعف أمام ألمانيا وحلفائها ، وقد ظهر الآن من يجهر فى مجالسهم النيابية بتحبيذ الصلح ، وانى اطلعت الخديو على بعض كتابات فى جورنال دو جنيف تدل على هذا الضعف ، وأن سموه وافقنى على ذلك ، ولهذا قلت له : «إن الفرصة سانحة الآن لاصلاح سياستنا مع رجال الدولة والألمان»

وعرفت مرسدس أيضاً بأنى حسنت هذه الفكرة لجلال الدين باشا وشديد بك وسيد كامل ، وهم المحيطون بالخديو ، وأنى مستعد لأداء أية خدمة فى هذا الشأن . وأظن أن أنور باشا يساعدنى على أن يطمئن سموه على أملاكه بتعويضه عنها إذا صادرها الانجليز ، وباعطائه مخصصات شهرية له وللحاشية

النمسا تعترف بخديوية عباس : وفى يوم ٣١ ديسمبر زارنى ارفاى فى منزلى وأخبرنى أن سفير النمسا فى برن وردت له رسالة من نظارة الخارجية النمسوية بأن يكتب إلى الخديو ، وينبئه بأن الكونت زيميتينى معتمدها السابق فى مصر قد عين سفيرا لها فى صوفيا ، وبهذا تعترف النمسا بخديوية عباس حتى الآن ، إذ أنها تعتبر الكونت معينا لديه ، حتى يوم ترقيته إلى منصب سفير صوفيا . فسر الخديو بذلك وعده غلامة على تحسن موقفه فى النمسا

القبض على يكن باشا وضبط أوراق الخديو : فى يوم ٢٤ اكتوبر قصدت زيارة محمد باشا يكن بناء على ميعاد سابق ، ولكنى وجدت بالمنزل حركة غير عادية ، وتبينت أن البوليس السرى السويسرى فاجأهم ، وضبط الأوراق التى عثر بها لديهم

وقد رجتنى السيدة حرمه أن أبادر بابلاغ الخديو تليفونيا ، فأبلغت الخبر ، وعلمت أنه نما إلى سموه قبيل ذلك ، من أمينه هانم اسماعيل القاطنة بنفس المنزل فى طبقة أخرى

وقد فزعت لهذا التفتيش ، واعتقدت أن الخديو هو المقصود به ، وأن ذلك من دسائس انجلترا لسموه ومعاكساتها



محمد يكن باشا

وفى الصباح زرت مدام يكن باشا فعلمت أن زوجها مقبوض عليه ، وأنها أرسلت له فراشا وطعاما ؛ وكانت فى نهاية التأثر ؛ فعرضت عليها أن أبقى معها لتأدية ما تريده من الخدمات فقبلت شاكرة

ثم طلبت أن تزور المحامى الذى تولى حضور التحقيق مع زوجها ، ومنه عرفنا أن الأوراق المضبوطة تدل على أن يكن باشا استخدم وسائل شتى للحصول على معلومات لصالح مصر والخديو ، ولكن هذه المعلومات تعدت الحدود السويسرية ، وهذا يخالف قانون سويسره الصادر فى أغسطس سنة ١٩١٤ فالعمل الذى قام به الباشا ليس ماسا بالشرف ، ولكنه مخالف للقانون ، ولذلك سيطلب من قاضى التحقيق أن يفرج عنه بكفالة .

وفى يوم ٢٦ صاحبت السيدة إلى مقر القاضى فقابلها على انفراد ، ولما خرجت أخبرتنى أنه قابلها بمنتهى اللطف ، وكرر لها ما سمعته من المحامى ، وأذن لها برؤية زوجها ؛ وأنها علمت من تلميحاته أن سفير انجلترا فى برن ضد قرينها ، فأخذت رأيه فى مقابلة السفير ، فلم يشر عليها بشىء ، ولكن يكن أشار عليها باستشارة الخديو

وقد تمكنت من رؤيته من بعيد عند فتح الباب لقرينته ، فحييته وحيانى

وفى اليوم التالى قابلت الخديو ، فعلمت منه أنه عقد اجتماعاً حضره محامى يكن ومحام آخر اسمه « جينان » وجلال الدين وعبدالحميد شديد ، والدكتور سيد كامل وتقرر إرسال مذكرة الى رئيس حكومة سويسرة ، بأن الخديو منذ قدومه وهو يلاقى حفاوة كبيرة به ، ولكن الحادث الأخير كدر خاطره ، و، وهو يطلب إرجاع الأوراق المضبوطة لأنها أوراقه الخصوصية .

وقال الخديو : « ان جينان علم بأن اسمك (شفيق) عند النائب العمومى لمناسبة

مسألة تتعلق بكونتس انجليزية كانت معك فى البنسيون» . فقلت : «لعلها (لودرس)» قال : «نعم ، وربما كانت جاسوسة قبض عليها وأنك ستدعى للشهادة ، وعلى كل حال إذا كانت لديك أوراق من البارون اوبنهايم أو من غيره ، فخير أن تحفظها فى مكان مجهول» . فأجبت : إن أوراقى الخصوصية مودعة فى صندوق فى بنك فدرال والأصوب مع ذلك أن أودعها عند الكونت دوتورن، فوافق . وأودعتها عنده .

وبعد ذلك أبحى سموه على يكن لتهاونه في رد هذه الأوراق اليه ، فرأيت أنه ليس من اللائق الطعن فى رجل سجين الآن من أجل أوراق الخديو . فقال : «ان أعداءه كانوا يريدون الايقاع بيكن ، ولكن ما كان يخطر لهم على بال ، أنهم سيحصلون على أوراق مهمة بهذه الخطورة ، وعلمت أن الأوراق المضبوطة خاصة بمسألة المشروع الألمانى بفصل فرنسا عن انجلترا .

وفى يوم ٢٨ توجهت ، بناء على طلب الخديو ، لمقابلة مسيو بارودى لمعرفة رأيه ومعلوماته عن الحادث

فسألنى عما إذا كنت أعلم ما حصل ليكن باشا ، فأجبته بالايجاب ، فقال : «إن فى هذا إهانة له وللخديو ، وسموه الآن قد أضاع نفسه بين الانكليز والفرنسيين والألمان والأتراك ، فليس له صديق من الدول» . فسألته عن سبب حبس يكن ، فقال : «انه أوفد لفرنسا بعض السويسريين لأخذ أخبار منها وتوصيلها إلى الألمانيين ، وقد ضبط اثنان منهم» . قلت : «الحمد لله ، أنا بعيد عن كل ذلك ، حتى أن الخديو الذى كان ينقدنى ألف فرنك شهرياً قطع نصفها» فسألنى «هل قطع المرتب بتاتاً ؟» قلت : «انه لا يزال يعطينى خمسمائة فرنك من وقت لآخر» . قال : «انه اتضح من أوراق قضية سموه مع يوسف أنه أعطاك من نقود الألمان عشرة آلاف فرنك ، وعند ما أتسلم نسخة من هذه الأوراق أطلعك على ذلك ، وهذا كل ما قيل عنك يا شفيق» فعرفت من ذلك أن اسمى لا تعلق به تهمة .

قال بارودى : «والحكومة السويسرية لا تنظر للخديو بالعين التى كانت تنظر له بها ، لأن سلوكه غير حميد ، وأنا أعرف من مخبر سرى أنه حينما يأتى لجنيف يذهب إلى بيت فى حارة نوشاتل ، لا يليق بملك أن يذهب إليه في مثل هذا الوقت؟ ثم إنه شترى لصاحبته قرطاً من اللؤلؤ الأسود بخمسمائة الف فرنك

وفي يوم ٢٩ سألني الدكتور سيد كامل بالتليفون من قصر كلاران عما فعلته فقلت له كلما حصل ، وقلت له ماسمعته من بارودي إلا مسألة العشرة الآلاف فرنك.

وعلمت منه أن المذكرة عملت ، ووقع عليها الخديو ، وقدمت إلى رئيس الحكومة بالسويسرة بواسطة جلال الدين باشا .

السويسرة تعترف بخديوية عباس : وفي يوم ٣٠ منه حضر عندي الكونت دوتورن وطلب مني أن أخبر الخديو تليفونياً في قصر كلاران .

أولاً : أن أرفاى كان قد سأل سفير النمسا عما حصل من المساعي في مسألة يكن باشا ، فجاء الرد الآن بأن سفير الدولة ذهب إلى نظارة الخارجية السويسرية واجتهد في رد أوراق الخديو لمن يعينه سموه من أتباعه ، وطالب بحفظ امتيازاته كخديو مصر ، وأن السفيرين الألماني والنمسوي أيدا زميلهما

ثانياً : جاءت برقية بأن يكن باشا نقل إلى برن .

وفي يوم ٣ نوفمبر علمت أن أرفاى فتش كذلك ، وقبض عليه جملة ساعات ، ثم أطلق سراحه ؛ وكذلك فتش مقر الدكتور سيد كامل وعبد الله البشري .

وفي ٦ أخبرني الدكتور تليفونياً أن يكن باشا أفرج عنه اليوم ، فأرسلت له بطاقة بالتهنئة .

وقد زرته في يوم ٩ فعلمت أن الأوراق سلمت إليه ، ولكن افتقد بعضها فوجده ناقصاً وهو من الأوراق المهمة ؛ وبينما هو يفرز الأوراق جاءه طلب بالتليفون من كلاران ، وكلف الحضور بعد ثلاث ساعات ، ومعه الأوراق التي تخص الخديو بعد استخلاص أوراقه الخاصة ، وكانت تملأ حقيبتين فقال لي : « انظر هل معقول أن أفرز كل هذه الأوراق في ثلاث ساعات ؟ » ثم أخذها جميعها وذهب .

وفي يوم ١٠ نوفمبر توجه الخديو إلى برن فزاره فيها مسيو دينان Dunan وكيل إدارة الأشغال الخارجية السويسرية ، وأعلمه بأن حكومته تعترف به ، وليس لها الحق في مس أوراقه ، واعتذر مما حصل من ضبط هذه الأوراق عند يكن باشا .

وفي يوم ١٥ نوفمبر أوفد جلال الدين باشا إلى برن ، فزار سفيري ألمانيا والنمسا حاملا إليهما شكر الخديو على تعضيدهما مساعي سفير الدولة لدى الحكومة السويسرية . فسأل السفير الألماني الباشا عما إذا كان بين الأوراق المضبوطة عند يكن باشا أوراق مهمة ؟ وأنه يخشى أن يكون قد اطلع عليها الأعداء ، واستغرب لأن

أوراق الخديو لم يكن عليها ، ولا على غلافاتها علامة تدل على أنها له ، ولو كانت عليها علامة لمنعت البوليسين فى تجال ضبط الأوراق أن يطلع عليها ؟

وزار الباشا مسيو دينان ، وقال له إنه قد مضت عشرة أيام ، ولم ترد الأوراق كما كان قد وعد ، فأجاب بأن الأوامر صدرت إلى النائب العمومى ، وانتهى الأمر من الخارجية ، وطلب منه أن يتوجه إلى النائب العمومى . فلما قابله أجاب بأن زميله الذى عنده المسألة غائب فى زوريخ ، وأن رد الأوراق يتم فى آخر الأسبوع القادم ونفى دينان أن يكون الايعاز بهذه المسألة صادراً من سفارة أجنبية ، وسأل عما إذا كان يكن لم يزل مقيماً في لوزان ؟ وقد جرى البحث فى معنى سؤاله أمام يكن صباح ١٦ ، وكان من رأى الخديو أن سؤال دينان له معنى يدل على أن وجود الباشا غير مرضى عنه ، ليس فى لوزان فقط بل فى السويسرة

وفى يوم ٢٠ قابلت الخديو ، فعلمت منه أن محامى يكن قابل النائب العمومى الذى بيده قضيته ، فعلم منه أنه هو الذى أخرجه من الحبس مؤقتاً بدون أمر ادارى وأن القضية لم تحفظ للآن . فقال سموه : إنه على ذلك يشتبه فى هذا النائب لأنه لا معنى لأن مجلس الاتحاد السويسرى يأمر بالحفظ وهو يراوغ فى المسألة . فأجبته بأن الدول المتحالفة كانت تنتظر من ألمانيا والنمسا والدولة عدم التداخل فى الأمر لأنها غاضبة من الخديو الذى تركها ، وكانت تنتظر أن السويسرة تمد يدها للمساس به . ولكن لما فشلت عند انتصار هذه الدول الثلاث لسموه ، وكان هذا الفشل مزرياً بها لأن السويسرة اعترفت بشخصية الخديو وامتيازاته ، أرادت أن تضغط على الحكومة عسى أن يصدر الحكم على يكن ، فتدارى فشلها . قال سموه : « كل ذلك جائز »

وفي يوم ٢١ منه سافر الخديو إلى برن لمقابلة سفير الدولة ، وأرسل الدكتور سيد كامل إلى سان جال لمقابلة محام شهير اسمه (فورر) ليطلعه على ما سمعناه من محامى يكن ، ويعهد اليه فى مباشرة القضية عند مجلس الاتحاد السويسرى لحفظها ورد الأوراق .

وقد زرت فى هذا اليوم فؤاد بك سليم ، فسألنى عن رد الأوراق المضبوطة فأخبرته بما سمعناه من المحامى نقلا عن النائب العمومى ، فوعد أن يتكلم مع الخارجية السويسرية .

وسألته تليفونيا بعد ذلك عن نتيجة المحادثة ، فأخبرني أن الخارجية أحالته على النائب العمومي، وذكر لي أنه يظن أنهم ينوون اختلاق قضية أخرى ضد يكن . ومن المحتمل أن الانجليز ضبطوا رسائل واردة من الاستانة أو من النمسا أو من المانيا ، لأنهم يأخذون من البوسته السويسرية الفرنسية بعض المظاريف التي ترد لمن يشتبهون فيهم ، ويرسلونها الى المراقب فى انجلترا فيطلع عليها ؛ ثم يردها للبوسته السويسرية وعلى الظرف بالانجليزية خاتم المراقب ؛ وأنه رأى « مظروفا » من هذا القبيل للحكومة السويسرية فى برن ، وربما ضبطت خطابات اعتمد عليها الانجليز فى دفع الحكومة السويسرية الى اقامة الدعوى ثانية ضد يكن

وفى المساء علمنا من يكن أن النائب العمومي قال : « إن المجلس لم يصدر له أمراً بحفظ القضية لا كتابة ولا شفويا ، وأن القضية لم تحفظ للآن ، والقاضى منكب على درسها ومطالعتها ، وأنه سيقدم قراره له فى آخر هذا الأسبوع » فاستغرب الخديو ما سمع

وفي يوم ٢٢ منه قابلت يكن بمنزله ، وعلمت منه أن الأسئلة التى طرحها عليه عليه القاضى كانت تدور حول المسائل المالية ، سواء كانت مختصة باتفاق الخديو مع المانيا على مشروع بولو ، أو بأحواله الشخصية ، حتى إنه سئل عن المبلغ الباقى لسموه فى البنك بناء على ايصال وجد بين الأوراق المضبوطة ، فأجاب إنها ليست فقط ثمانمائة ألف فرنك أو مليونا بل إنها كانت أكثر من ذلك ، وكان منها عملة ذهبية نقلت فى صناديق بالسكة الحديدية السويسرية إلى جهات متعددة ، ولما سئل : وكيف وصلت للخديو هذه المبالغ ؟ أجاب : إن على القاضى أن يوجه هذا السؤال لسموه . فتغيظ القاضى وضرب بيده على المنضدة .

قال : « وانى كنت فى بعض الأحيان أجيب القاضى على مسائل من تلقاء نفسى آخذاً على عاتقى المسئولية ، دون الخديو . وبعد كل هذا يعنفنى سموه ، ولا أسمع منه كلمة تلطيف ، فضلا عن أنه يقول لزوجتى : « ولماذا خرجتم من ايطاليا ؟ » فأجابته لو أردنا لكنا ظللنا فى بلادنا . ثم إنه وزوجته قد كسر قلبها لأن الخديو يقول : « إن السبب فيما حصل امرأة فرنسية ساقطة اسمها لويز يجوندى صديقة يكن » وقال سيد كامل لنا : إنه سمع هذا الكلام من سموه . فهل يليق أن يحكى ذلك لامرأتى ؟ »

أما زوجة يكن فقد قالت : « إنها مستاءة جداً مما سمعته ليس عن غيرة منها ، لأنها

لا تصدق الاشاعة ، إنما لكون الخديو يصدقها ؛ وأنها قالت مرة لزوجها لما رأت سوء العاقبة من انغماسه كثيراً فى مسائل سموه : إن عليه أن يختار أحد أمرين : إما هى وإما الخديو ، فأجابها بأنه يختار جانب الخديو »

وكان يكن متهيجاً لما سمعه من المحامى من تأخير حفظ القضية ، وعدم صدور أوامر للنائب العمومى بهذا الصدد ؛ وقد خاطبت شديداً تليفونيا ورجوته أن يتصل بخليل بك الملحق العسكرى فى سفارة الدولة ، ويخبره بما سمعه يكن من المحامى ، حتى اذا وصل سمو الخديو الى السفارة مع جلال الدين يعلمه به ، حتى يتكلم سموه مع السفير .

وتكلمت مع يكن وزوجته في ضرورة تحرير ثبت بحاشية الخديو ، وعمل المساعى لدى الحكومة السويسرية لكى تعترف بعدم مسهم بضر ، وقلت: « كيف أخدم الخديو ، وعقلى مشغول بما يمكن أن يصيبنى من جراء ذلك ؟ »

معرفة سارق الأوراق : وفي يوم ٢٥ منه كنت مع الخديو بحضور سيد كامل والبشرى فقال : « إن موسيو جينان المحامى عثر على جاسوس فرنسى اسمه هوتيه وكان قد علم أنه حصل على بعض أوراق الخديو بواسطة مدام ريفيه خادمة يكن، فهدده موسيوجينان بالقبض عليه ومحاكمته وسجنه اذا لم يبح له بالحقيقة ، فقص عليه جلية الأمر، وقال: « إنه تعرف الى خادمة يكن بواسطة خادمة عائلة يهودية كانت فى لوزان بالاس هوتيل اسمها سيجلمان (ومن أصدقاء يكن وزوجته) فذهب الجاسوس مرتين الى الفندق ، وصعد من سلم الخدم ، وقابل مدام ريفيه ، وأغراها بسرقة الأوراق ، وفى مرة ثانية أخذ منها خمسة خطابات واحداً من المركيز أدا التليانى ، والثانى من كاقاليبى وشيئاً باللغة العربية » ولما وقف المحامى على هذه المعلومات قصد ليلا الى منزل يكن ، وقابل مدام ريفيه ، وهددها مواجها اياها بهذه المعلومات، فأشفقت من إقامة الدعوى وسجنها ، واعترفت بكل ما قاله الجاسوس. ولما قال لها المحامى: « وكيف تفعلين ذلك مع انك مغمورة باحسانات سادتك؟ » أجابت: بأنها تحب يكن باشا ومدام يكن ، ولا نريد لهما سوءاً ؛ ولكنها فعلت مافعلته انتقاما من الخديو » ثم أخرج سمو الخديو من جيبه ورقة بخط الخادمة وإمضائها بكل ما اعترفت به . وفى صباح اليوم التالى أبلغت الخادمة تليفونيا من القنصلية الفرنسية بأن زوجها قد جرح فى الحرب؛ وحضر الى ليون فى حالة سيئة ، ويطلب أن تسافر

فى الحال لرؤيته . وبناء على أمر عباس لم يظهر يكن ولا زوجته أنهما على علم بمقابلة المحامى واعترافها له ، بل أعطاها يكن أجرة السفر ، واستأذنت ، وأخذت جميع مالها وسافرت . قال الخديو : « هذا دليل على أن قنصلية فرنسا كانت على علم تام بهذه المسألة ، فأرادت أن تتق وقوع الضرر للخادمة ، فهيأت لها هذه الحجة لاخراجها من السويسرة » ثم قال : « وانى كلما وقع نظرى على يكن بعد اعتراف خادمته كنت أحس أن مراجلى تغلى ، وأهم بأن أضربه ، لأننى أحس الضرر العظيم الذى حاق بى وسيحيق من جراء هذه المسألة ، فان المخابرات التى كانت دائرة مع الانجليز قد انقطعت تماما ، وملحمه يقول : « إنه لا يمكن أن نبتدىء فيها مرة أخرى إلا بعد جملة أشهر حتى تهدأ الأفكار ، وتنسى المسألة » وفكر سموه أن يستدعى يكن ، ويبين له هذه الأمور جميعا ، ويعلمه بمقدار الضرر الذى ألحقه به ، ويقول له : « إنه لا يريد أن يرى وجهه مرة أخرى » . فلم أوافق أنا والبشرى على ذلك ، وقلنا : « يكفى ألا تعتمد عليه فى شىء » فقال : « ياقوم عندكم عادة وهى « ماعلهشى » مع أن ملحمه كان يقول لى مرارا : « ابتعد عن يكن ، وابعد حاشيتك عنك لأنها تضرك » .

فقال البشرى : « وما هى الحاشية المقصودة ؟ » فتجاهل الخديو هذا السؤال .

تهديد عباس ليكن : وفى المساء حضر يكن الى كلاران وخلا بعباس ، ويظهر من كلام سموه لنا بعد خروجه أنه قال له : « يا يكن باشا إذا كنت تعلم بأسرارى فأنا أيضاً مطلع على أسرارك » يعنى أنه هدده . وبعد ذلك تكلمنا فيما يلزم اجراؤه من الاحتياط حتى لا يقع الباشا فى يد القضاء مرة ثانية ، إذ أن القضية لم تحفظ ، وأن التحقيقات قائمة على قدم وساق ، ويمكن إدانته . فتقرر أن يسافر إلى النمسا ، وأن يعطينى جواز السفر لأؤشر عليه من قنصلية الدولة . وقد ظهر على وجه الباشا الخوف من العاقبة وقال : « انه يفضل أن يهرب الى النمسا ، ولو تعرضت أملاكه لما تتعرض له فى مصر ، على أن يسجن مرة ثانية » . وقد أفهمه الخديو أن الضرر الذى عاد ويعود على سموه من سرقة أوراقه لا يقدر ، وشاهدت على محيا يكن أنه يعترف بهذا ، وأنه آسف لما جرى ؛ ولو أنه لم يبح بشىء . وقال : « إننى فى البعد أو فى القرب خادم أفندينا المخلص »

عباس يحصل على اعتراف منه : وفى أول ديسمبر كلف الخديو الدكتور سيد

كامل أن يحصل من يكن على اعتراف بأنه هو الذى رغب فى السفر الى النمسا وأنه عالم بمقدار الضرر الذى أصاب الخديو بسببه .

وكان يريد أن أحصل أنا على هذا الاعتراف ، فلاحظت لسموه ، أننى إذا طلبت ذلك فان يكن ربما يظن أننى أريد أن أحل فى مركزه ، فيتأثر ويمتنع .

واتفق الرأى على أن أمهد فقط للدكتور سيد كامل بأن أقابل يكن ، وأحدثه برضاء الخديو عنه في القرب والبعد ، وأسفه لما حصل فيطمئن ، وقد تم ذلك وأخذ الدكتور الاعتراف المطلوب .

بحث فى امتيازات رجال الحاشية بسويسرا : وفي يوم ٣ ديسمبر زرت فؤاد بك سليم ، وتحادثنا في مسألة يكن ، فسألنى عما إذا كانت أوراق الخديو ردت ، فقلت : « لم ترد » قال : « عجباً ! ان حكومة السويسرة لا يعرف الانسان لها رأساً من قدم » ثم قال : « بلغنى أن البحث جار فيما إذا كانت امتيازات الخديو تغطى يكن باشا وإلى أى درجة . ولكن كان الواجب أولا أن يردوا الأوراق الى سموه ؛ ثم ينظروا فى مسألة يكن » . فانتهزت هذه الفرصة وقلت : « ان مسألة سريان الامتيازات على حاشية الخديو مهمة جداً ، فأنا مثلا أحضر للسفارة مرسلا من قبل الخديو ، ولا بد أن الأنجليز عالمون بحركاتى وسكناتى . فمن أين أعلم أنهم لايكيدون لى كيداً كما حصل ليكن ؟ نعم إننى لاأخشى مايفعلونه ، ولكن يكون من وراء ذلك ضجة غير مستحسنة » قال : « هذا صحيح ، وأنا فى بادىء المسألة قلت لجلال الدين باشا : إن الواجب أن يرسل الخديو ثبتاً برجال حاشيته ، حتى لا يلحقهم ضرر ولا يمسوا بسوء ، وما عليه إلا إعلان هذا الثبت للحكومة المحلية ؛ ويرسل إلى نسخة منه . وأنا أبعث بها إلى مجلس الاتحاد » .

استرداد بعض الأوراق المضبوطة : وفى يوم ٩ منه قابلنى فى محطة لوزان الدكتور سيد كامل ، فعرفنى بأن الخديو تسلم ١٤ ورقة تخصه من الأوراق المضبوطة منها إيصال بالمبالغ التى ردها سموه لألمانيا ، وإيصال بخمسين ألف فرنك بأمضاء يوسف باشا صديق . وهذه الأوراق هى التى اتضح من فحواها أنها تتعلق بشخص الخديو أو التى عليها علامته . أما الأوراق الباقية فلم تزل فى يد رجال السلطة القضائية وربما توصلنا إلى سحب الأوراق الباقية ، وسيجتمعون يوم الأربعاء الآتى لهذا الغرض ، وبناء على الأمر طلب منى أن أخبر فؤاد بك سليم بذلك وأبلغه أن الطلب لدى الادارة .

وفي يوم ١٢ منه قابلني الدكتور سيد كامل ، وأخبرني أن المحامي فورر يرى أنه يلزم فصل مسألة يكن عن مسألة عباس ، ويكفي أخذ الأوراق الصادرة والواردة باسم سموه ، أو عليها علامته ؛ وقال أن نيسي محامي يكن اعترض على تسليم الأوراق الأربع عشرة للخديو رأساً ، وأنه يقول : « أن القضية قضية افندينا ويكن معاً » واذا اقتضى الحال فان هذا المحامي لايعترف بامتيازات الخديو ، فاذا لم ينج يكن من المحاكمة فانه يكون مضطراً إلى زج الخديو فيها (وهذا التهديد مقصود به أن يتحرك سموه ويلح على مجلس الاتحاد بوساطة سفراء الدولة العلية والنمسا وألمانيا لاصدار الأذن بحفظ القضيـة)

ولم يستطع الخديو ان يحصل بعد ذلك إلا على الاوراق التى تسلمها

شئون مختلفة

رأى الخديو فى غورست وكتشنر : فى يوم ٦ مارس كنت عند الخديو مع لبيب وفهمي والشمسي ، ودار الكلام عن مصر وإدارتها السالفة ، فقال سموه : « إن مدة كتشنر لم تكن مفيدة للمصريين ، ومسألة الخمسة الأفدنة فشلت ، لأن السير أرنست كاسل ، والانكليز أصحاب الأموال فى البنك الزراعى وقفوا ضد كتشنر فيها ، فاضطر أن يطلب من محمد باشا سعيد إعطاء امتياز للبنك المذكور وهو غبن فاحش ومسألة توزيع الأطيان فى بيله وغيرها فشلت أيضاً ، لأن الفلاحين تركوا الأراضى المذكورة ؛ وأما غورست فهو الذى عمل حقيقة لمنفعة مصر ، ولو أن الحزب الوطنى ومنـه هذا « اسماعيل بك لبيب » كان يدعى بأنى سلمت البلد للانجليز ، فغورست أعطى مصر مجالس المديريات ، ولكن نحن المصريين لم نعرف أن نستفيد منها كثيراً لأن المديرين استبدوا ، ولو أنه فى الغربية كانت توجد معارضة من بعض الأعضاء ، ومع ذلك فان مجالس المديريات قد أفادت البلاد ، ورقت التعليم وكان غورست بألحاحنا يريد أن يتـدرج بمصر شيئاً فشيئاً إلى المجالس النيابيـة رغم معارضة الانجليز الذين كانوا يقولون عنه: إنه ضعيف الأرادة

« ولكن الامر الذى كسر قلبه هو إخفاقه فى مسألة امتداد أجل الامتياز لشركة القنال ، فأنه لما جاء مصر علم أن المستشار المالى تصرف فى الاحتياطى الخاص بصندوق الدين تصرفا سيئاً ، واشترى من أسهم الترنسفال وغيرها ، فأفاد الانجليز وأصاب مصر بخسارة تربى على مليون جنيه ، بينما هى فى حاجة إلى المال للشروعات

الجديدة ؛ وقد طلب الانجليز منه أن يعقد قرضاً لتنفيذها ، فأبى ذلك ، قائلا : « كيف يدير كرومر هذه البلاد خمساً وعشرين سنة بدون قرض ، وأنا أبتدئ عهدى بالاقتراض ؟ »

« ولهذا فكر فى الحصول على المال اللازم من مد أجل الامتياز ، فلما لم ينجح تأثر وفترت همته »

الخديو وملك أسبانيا : فى يوم ٢٣ إبريل كنت مع الخديو ، فأخبرنى أنه لعدم اطمئنانه الى الألمان والأتراك فكر فى أن يضع عائلته فى الاستانة في كفالة سفارة أسبانيا بها ، فطلب من شقيقه البرنس محمد على أن يكتب الى ملك أسبانيا بذلك ، نظرا للعلاقة الودية بينهما ، وقد أرسل البرنس رسالة بهذا الخصوص الى الملك عن طريق سفيره فى برن :

وفى يوم ٣١ مايو أخبرنى أنه يريد أن يرسل جوابا الى ملك أسبانيا ليشكره أولا — على الرد التلغرافي اللطيف الذى ورد الى سموه عند ما هنأ جلالته بعيده فى ١٧ مايو — وثانيا — لأن جلالته أجاب الطلب الذى خاطبه فيه البرنس محمد على باشا بناء على اقتراح الخديو ، فابرق الى سفيره فى الاستانة برعاية عائلة سموه (الوالدة والحرم والبرنسيسات) وقد ذهب السفير الى بيك وأعلم الوالدة بأنه « تحت أوامرها فيما تطلبه » وهي أرسلت على يديه شكرها للملك ، وكتبت للخديو بارتياحها الى المساعى التى حصلت ، وكلفته أن يشكر الملك من قبلها ، وأنها تطلب من جلالته أن يساعدنا فى مثل تلك الأوقات الصعبة . قال الخديو : « ولما كان سفير اسبانيا فى السويسرة سيحضر لمقابلتى بعد يومين ، وربما حمل الى أيضا شيئا من قبل جلالته ، فاذا علمنا بشيء آخر ضمناه الى الخطاب » وأمرنى سموه أن أضع المسودة بذلك .

وفي أول يونيو حررت الرسالة المطلوبة وبما جاء بها :

« إننى لا يمكننى أن أعبر عن مقدار شكرى لجلالتكم ، نظرا للعطف الذى تبدونه نحوى فى هذه الظروف الحرجة ، وإننى متأثر من الاحساسات الشريفة التى ظهرت فى ردكم على برقيتى بتهنئتكم ، وأنا شاكر كذلك للأوامر التى أرسلتموها الى سفيركم بالاستانة لرعاية عائلتى بها .

« وإن والدتي التي أبلغها سفيركم فى الاستانة أوامركم الطيبة تشترك معى فى إبلاغ جلالتكم تشكراتها »

وقد وافق سموه على هذه الرسالة وأرسلها .

غرق كتشنر : فى يوم ٩ يونيو قرأت فى الصحف أن اللورد كتشنر غرق هو وأركان حربه ، وكانوا على بارجة حربية ذاهبة إلى روسيا ، فصادفه توربيد ألمانى وأغرقه .

ولما علمت بالخبر الذى اهتزت له انجلترا ، واهتز له الحلفاء ، بادرت بارسال برقية إلى عباس ، وأنا أعلم أنه سيرحب بالخبر .

محادثة البرنس محمد على مع مكسويل عند اعلان الحرب : في يوم أول نوفمبر سافرت إلى مونتروه وزرت البرنس محمد على باشا ، فوجدت عنده عبد الله البشرى ، ودار الحديث على مصر وسياسة الانجليز بها ، فقال البرنس : « إن التاريخ الذى يكتبه المقطم عن الحرب يزعم أن السلطة الانجليزية طلبت منى الابتعاد عن مصر ، وهذا كذب ، فانه لما رجع ونجت باشا ومكسويل وسسل وجراهام الى مصر عقب اعلان الحرب خف الثانى لزيارتى ، وسألنى عن فكرى ، فقلت : « إن المصريين لايمكنهم الدخول في هذه الحرب ، وعليكم أن تأخذوا أنتم الحيطة للمحافظة على مصر ، لأن ذلك فى صالحكم ، ولأن مصر لم تدخل الحرب مع الدولة العلية لما ثار البلقان عليها ، ومن رأيى أنكم تطلبون رجوع الخديو من الاستانة ويبقى في سرايه تحت مراقبتكم » فقال مكسويل : « ولكن لو حضر الخديو فانه لايسكت ، بل يلعب بذيله مهما نبالغ فى الاحتياط ، وهو عدو لنا » فقال البرنس : « أنا أرى أن الفرصة سانحة للانجليز لاعلان استقلال مصر وبهذه الوسيلة يمكنكم أن تجهزوا جيشا من المصريين للدفاع عن استقلال بلادهم



الجنرال سير جون مكسويل

وتتفقوا معنا على أن تتركوا مصر بعد مدة تحددونها، فان صنعتم ذلك تكتسبوا ثقة المصريين، وغيرهم فى البلاد العربية » — وقد ظهر لى أن كلامى لم يعجبه — وأخبرته أيضا أننى مع اعترافى بأن اللورد سسل رجل لطيف، ومن أسرة شريفة ولكنه ليس أهلا لمنصب مستشار مالى، فانه فى الظروف الصعبة التى نحن فيها ما كان يجب عليه أن يجبر الفلاح المسكين على دفع الأموال، بل كان يعطيه ميعادا كافيا للدفع بحيث لا يجبره على بيع أوانيه وماشيته وكل ما يمتلكه. وقد قام الجنرال من عندى غير راض عن محادثته معى، فان إجاباته ما كانت تشف عن ارتياح، بل عن تغيظ بخلاف ماوجدته عندما تحادثت مع ونجت باشا فى نفس الموضوع، فقد كانت أجوبته بكل احترام وأدب، وقد أجاب عن رجوع الخديو بأنه كان فى الصالح، إلا أن الحكومة الانجليزية قد ترى أسبابا لمنع رجوعه الآن »

وقال البرنس : « إن رأيه الذى أبداه عن استقلال مصر قد استحسنه ووافق عليه ماكلريث المستشار القضائى وماكدونالد وكيل الاشغال — أما سسل وجراهام وشتهام فكانوا ضده »

أوراق الخديو فى رودس : كان الخديو قد أمر باستحضار بعض أوراقه من مصر على الباخرة طاشيوز، فقبض على الباخرة فى رودس ووضعت تحت الرقابة

وفى يوم ١٠ نوفمبر كلفنى أن أحضر خطاباً ليرسله الى ملك ايطاليا، فكتبته وعرضته عليه (مضمونه أن سموه بلغه أنهم يسعون لضبط أوراقه الموجودة فى رودس داخل باخرة له، وتحت ملاحظة حكومة ايطاليا المحلية فى هذه الجزيرة، وأن سموه مع علمه بمشاغل الملك ونفاسة أوقاته يجسر على أن يلتمس من جلالته أن يصدر أوامره القاطعة بعدم مس هذه الاشياء، وهذا رجاء حفيد اسماعيل)

وفى يوم ٢٥ وردت برقية من ملك إيطاليا بعنوان « صاحب السمو الخديو عباس باشا » قال فيها : « إنه تسلم خطاب سموه وفى الحال أرسل أوامره بما يطلبه »، ففرح الخديو وفرحنا نحن أيضاً، وقررنا أن نكتم هذه المسألة حتى لا تصل إلى آذان الانكليز، لانهم طبعاً لا يرغبون فى اعتراف ملك إيطاليا بخديوية عباس، فضلا عن استيائهم من عدم إجابة السلطة الطليانية فى رودس طلبهم من وضع يدهم على الأوراق؛ وقد أخذ سموه البرقية وركب السيارة وذهب بها إلى ملحمة وأراها له ثم رجع فكتب الرد بالشكر الجزيل على عناية الملك.

كتبخانة عمارة قولة : فى يوم ٢٥ نوفمبر طلب منى الخديو أن أحضر رسالة إلى ملك البلغار بأن كتبخانة عمارة قولة معرضة لنيران العدو ، ونلتمس من جلالته أن يأمر بوضعها فى مكان أمين حتى نهاية الحرب .

العلماء والانقلاب : مما سمعته من البرنس محمد على باشا فى زيارتى له : انه فى أوائل الحرب كانت قد حصلت حركة بين العلماء ظهر منها أنها ضد الاحتلال ، وفى جانب الخديو ، فأوفده رئيس النظار حسين باشا رشدى إلى شيخهم الشيخ سليم البشرى[1] لتسكين هواجسهم ، قائلا لهم : « ان هذه الحركة لا تفيد لان المصريين لا يملكون سلاحا ، ولا ذخائر للمدافعة عن أنفسهم وعن بلادهم ؛ والاصوب أن يكون الهدوء رائدهم » وقد حصل ذلك .

(١) صور ج ٢ ق ١ ص ٢٨٠